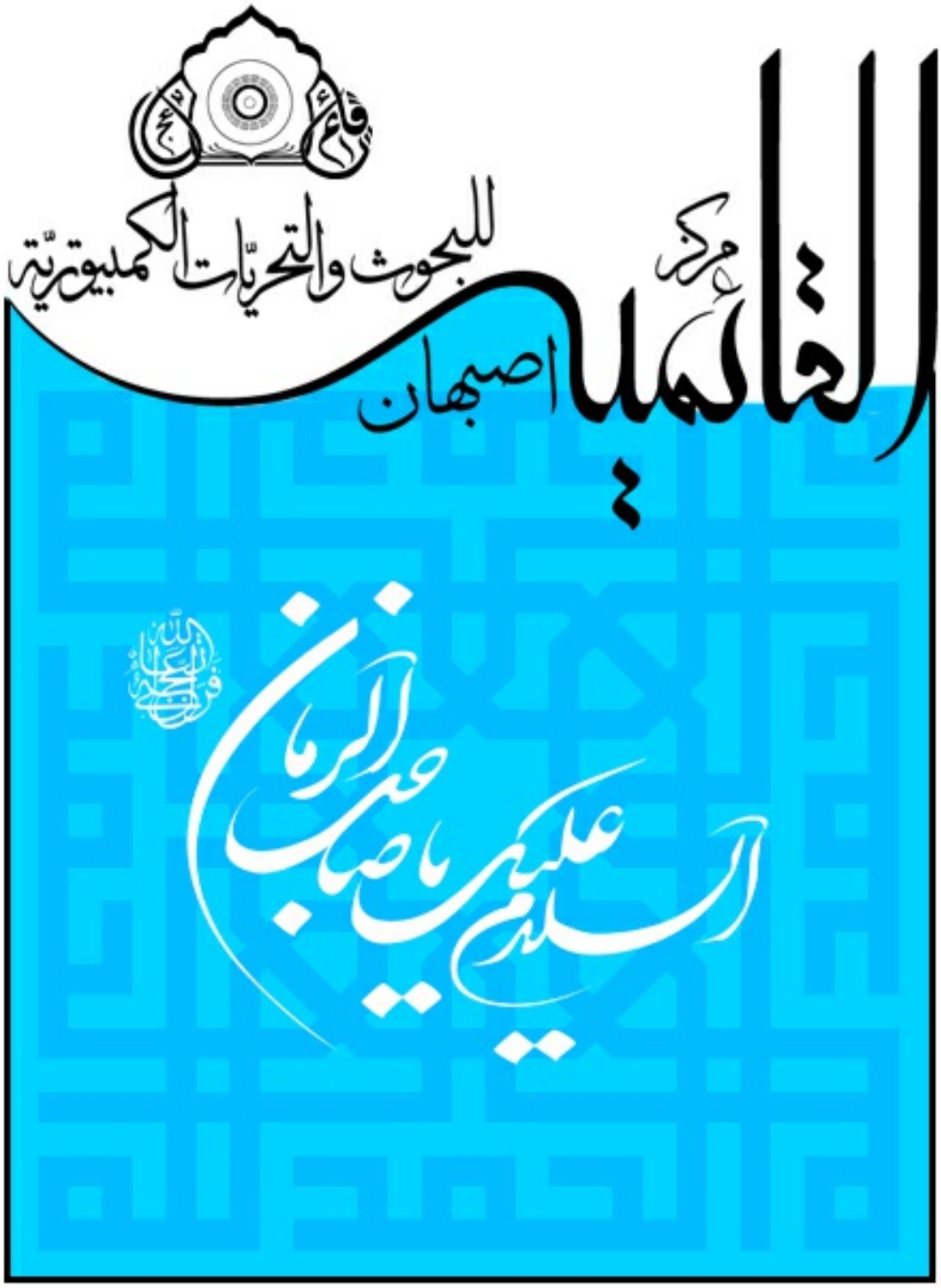

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

أبو طالب
بالنبي مؤمن أسلم

تأليف وتحقيق

السيد نبيل الحسني

الطبعة الثانية

إصدار

٦٢

بسم الله الرحمن الرحیم

ابو طالب عليه السلام ثالث من اسلم

كاتب:

نبيل قدورى الحسنى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

ابو طالب علیه السلام ثالث من اسلم 8

اشارة 8

اشارة 8

الإهداء 13

مقدمة القسم 14

مقدمة الكتاب 16

المبحث الأول: وقفة مع حديث الضحضاح وآراء العلماء فيه 20

اشارة 20

الشاهد الأول 36

الشاهد الثانی 36

المبحث الثانی: تلويح الحافظ الخركوشی بإسلام أبی طالب علیه السلام وأنه ثالث من أسلم 39

اشارة 39

رواية الحافظ الخركوشی رحمه الله 42

اشارة 42

المسألة الأولى: السياق العام للرواية 44

المسألة الثانية: قوله علیه السلام «ما هذا الذی أظهرته» 44

المسألة الثالثة: «عرض الدخول فی هذا الدين» 62

المسألة الرابعة: «ما المراد بالكتمان الذی طلبه النبی صلی الله علیه وآله وسلم من أبی طالب علیه السلام»؟ 64

المبحث الثالث: سرية الدعوة النبوية بين حقيقة الحدث ووهم الرواة 72

اشارة 72

الهدف الأول: الترويج الإعلامی لبعض الأسماء فی أسبقية الدخول إلى الإسلام 76

الهدف الثانی: إلصاق كثير من الأدوار لبعض الرموز 76

الهدف الثالث: التعتيم على أبى طالب وأم المؤمنين خديجة والإمام على عليهم السلام 77
الهدف الرابع: التقليل من شأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم 77
الهدف الخامس: اتهام النبى صلى الله عليه وآله وسلم خلال هذه الفترة بالشک فى نفسه – والعياذ بالله - 78
اشارة 78
المسألة الأولى: معارضة بعض النصوص الصحيحة لهذه النظرية 83
المسألة الثانية: ما ورد عن أهل بيت النبوة عليهم السلام فى سرية الدعوة 91
اشارة 91
أولاً: حقيقة الكتمان الذى عمل به النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم 92
ثانياً: فى معنى انه صلى الله عليه وآله وسلم كان خائفاً 95
ثالثاً: فى بيان الصدع الذى أمر به النبى صلى الله عليه وآله وسلم 95
المسألة الثالثة: إسلام أبى ذر رضى الله عنه وحقيقة سرية الدعوة 101
اشارة 101
كيف كان إسلام أبى ذر رضى الله عنه 102
أولاً: «حوار أبى طالب مع الإمام على عليه السلام يدل على أنه أسلم فى هذا الوقت» 110
ثانياً: «خاتمة الرواية تدل على أنه ثالث من أسلم» 112
المبحث الرابع: العلة فى إخفاء أبى طالب عليه السلام إسلامه 114
المبحث الخامس: تدخل الحكام وأشياعهم فى تدوين السيرة النبوية وسعيهم فى تغيـير الحقائق ومنها حقيقة إسلام أبى طالب عليه السلام 127
اشارة 127
المسألة الأولى: دور حكام بنى أمية وأشياعهم فى تدوين السيرة النبوية والتلاعب بها 130
المسألة الثانية: دور حكام بنى العباس فى تدوين السيرة النبوية 133
اشارة 133
متى كتبت السيرة النبوية فى دولة بنى عباس 134
المسألة الثالثة: دور ابن هشام فى تغيير السيرة النبوية 135
المبحث السادس: تصريح العترة النبوية عليهم السلام بإيمان أبى طالب 139
المبحث السابع: ما زال أبو طالب عليه السلام يدافع عن إيمانه حتى النفس الأخير 154

اشارة 154
وفاته وتشيعه عليه السلام 160
رثاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم له ووجده عليه 161
ما خلف من الأبناء 166
أولاده الذكور 166
ألف - طالب بن أبى طالب 166
باء - عقيل بن أبى طالب 171
جيم - جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما 174
اشارة 174
وفاته رضى الله عنه 178
دال - الإمام على بن أبى طالب عليه السلام 179
بناته رضوان الله تعالى عليهم أجمعين 180
نتيجة البحث 183
تعريف مركز 185

ابو طالب علیه السلام ثالث من اسلم

اشارة

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق وزارة الثقافة العراقية لسنة 2009: 205

الرقم الدولى: 9789933489014

الحسنى ، نبيل قدورى، 1965- م.

أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم / تأليف وتحقيق نبيل قدورى الحسنى. - طبعة ثانية منقحة. - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة، 1433ق. = 2012م.

207 ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ 62).

المصادر : ص. 189 - 200؛ وكذلک فى الحاشية.

1. أبو طالب بن عبد المطلب، 91 ؟ - 3 قبل الهجرة. - نقد وتفسير. 2. محمد (ص)، نب_ى الإسلام، 53 قبل الهجرة - 11 ق. - السيرة. 3 . ابن إسحاق، محمد، 85 ؟ - 151 ؟ ق . - شبهات وردود. ألف. عنوان.

2 ألف 5 ح / 6 / 25 BP

تمت الفهرسة فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

ص: 1

اشارة

أبو طالب ثالث من أسلم

تأليف وتحقيق

السيد نبيل الحسنى

الطبعة الثانية

إصدار

شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية

قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة

شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية

ص: 3

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الثانية

1433هـ - 2012م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: 326499

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

ص: 4

قال الإمام على بن أبى طالب وهو يفاخر فاطمة عليهما السلام:

«أنا ابن صالح المؤمنين».

فقالت فاطمة عليها السلام:

«وأنا ابنة خاتم النبيين».

«الفضائل لابن شاذان: ص80»

ص: 5

الإهداء

إلى من بعثه الله رحمة للعالمين وصلى عليه والملائكة أجمعون.

قَدِمْتُ بهديتى الصغيرة، ماداً يدى إلى معين لطفه، ملتمساً عطفه وحنانه، التماس الولد من الوالد العطوف.

فيا أيها الوالد الرحيم بولده، والمشفق برعيته، والشافع لأمته، ها أنا ذا واقفاً بين يديک وقد أعيانى ثقل الذنوب وأضنانى تكاثر العيوب.

ها أنا ذا ملتمساً من كوثر خيرک شربة روية من يد ابن عمک النبأ العظيم.

ها أنا ذا أحبو إليک يوم الظمأ والرمض، والجزع والفزع.

ها أنا ذا جاثياً عند قدميک يوم الورود والناس من حولى شهود ينظرون إلىّ ماذا تصنع بكتابى؟

سيدى: أتتركنى لعملى أم تمن على بعطائک؟.

لا، وحق من اتّخذک حبيباً، وانتجاک خليلاً، لن تتركنى وقد سمّاک الرحمن شفيعاً.

لا، وحقک لن تدعنى وقد عنونت صحيفتى بحب ابن أبى طالب وولده.

فبحقهم أقبل منى هديتى يا والدى.

خادمک وولدک نبيل

مقدمة القسم

الحمـد لله حمدا لا يحصـيه غيره على نعمة العلم التى حبانا بها ولـم يجعلنا من الأراذل كما جاء على لسان سـيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام:

«إذا أراد الله أن يرذل عبدا حرم عليه نعمة العلم».

والصـلاة والسلام على المعلم الأكبر، والسراج الأنور، وسيد البشر، أبى القاسم محمد وعلى آله الذين حملوا شريعته وطبقوا نهجه وحفظوا دينه وسلم تسليما كثيرا.

(أبو طـالب ثالث من أسـلم) هو عنوان كتاب أصـدرته شـعبة الـدراسات والبحوث فى قسم الشؤون الفكريـة والثقافيـة فى العتبـة الحسـينية المقدسـة بقلم فاضل من فضـلائها وباحث من باحثيها شـمر عن ساعـديه ليغوص فى بحر الشـكوك والشـبهات التى طالت سـيد البطحاء وحامى الرسول ومؤيد الرسالة ليخرج لنا لؤلؤة جديدة غير ما أخرجه الباحثون من قبله ألا وهى الاسـتدلال على رتبة إسلام أبى طالب عليه السـلام، فأثبت من خلال غوصه ومسبره أغوار هـذا البحر أن أبا طالب عليه السـلام هو ثالث المسـلمين بعـد السـيدة الكبرى خديجة عليه السلام وولده الوصى على عليه السلام.

إن إثبات إسـلام أبى طالب عليه السـلام فى هـذا الكتاب لم يَنَلِ اهتمام الباحث وذلک لعدم حاجته إلى إثبات أمر تسالم عليه العقلاء وأقره أهل بيت العصمة عليهم السلام وخاض فيه جهابذة العلم فصار أمرا بديهيا.

فلـذا ما ورد فى هذا الكتاب أمر جديد لم يطرقه أحد من قبل وهو إثبات أن أبا طالب ليس مسـلما فحسب بل هو السـبّاق لاعتناق الإسـلام والإقرار بالرسالة المحمدية لم يسبقه أحد إلى ذلک إلا امرأة ورجل فقط.

وعطف الباحث قلمه على منحىً آخر لا يقل أهمية عن مبحثه الأول ألا وهو إثبات عدم سرية الرسالة وعدم خشية رسولها الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا يخشى إلا ربه سبحانه.

ومن المبحث الأول والمبحث الثانى ولد كتابنا المبارک ليأخذ مكانه بين أشقائه فى المكتبة الإسلامية.

الشيخ على الفتلاوى

رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية

مقدمة الكتاب

«الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم، من عموم نعمٍ ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها»(1)؛ فكان من نعمه عزّ شأنه أن منّ عليّ بنعمة الإسلام واتّباع سبيل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إنّ الحديث عن الحقيقة التاريخية فى زحمة التلاعب بالنصوص وتوظيفها للمصالح الشخصية والميولات النفسية؛ حديث عسير كعسر من جمد فى أحشائها جنينها فاشتد عليها المخاض وأعياها الألم.

وكانت بين أمرين إمّا الاستسلام لهذا الواقع مع ما فيه من خطورة وألم على أنّه واقع حال؛ وإما الخضوع لعملية جراحية تخرج الجنين من بين زحمة العمل الجراحى والنفسى.

هكذا حال الحقيقة التاريخية إذا أريد لها الظهور؛ وهكذا يكون حال من ينتظرها، فهو إمّا أن يستقبلها بالانبساط وإمّا:

1- هذا ما ابتدأت به بضعة النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فاطمة الزهراء عليها السلام خطبتها الاحتجاجية فى المسجد النبوى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (1).

لكنّ هذا العسر وجهد البحث لم يكن حائلاً لمن استعان بالله تعالى وعقد العزم على المضى فى إخراج الحقيقة إلى النور: بل مجموعة حقائق ضمها الكتاب بين دفتيه من خلال مباحثه التى شكلت بمجموعها ملامح صورة نقية لواقع تاريخنا الإسلامى وشخصياته التى كانت مادته الأساسية؛ ومن بينها شخصية أبى طالب عليه السلام.

فهذا العملاق الذى أعيا رقاب الأقزام عند النظر إليه، وانحدر الأعراب عن سفح شموخه حينما أرادوا الصعود إليه، فأجهدهم هذا الحال وأضناهم التكرار أن قالوا: «إنه مات على دين قومه ولم يسلم»!! وتناسى أولئک الأعراب أنّ العاقبة لمن اتقى وإنّ الأيام لكفيلة بإعادة تركيب ملامح الحقيقة التاريخية لتظهر بصورتها التى خطها قلم الواقع.

هذا الواقع الذى جمعت مكوناته من خلال المباحث التى تناولها الكتاب فمن «حديث الضحضاح وآراء العلماء فيه» إلى «تلويح الحافظ الخركوشى بأنه ثالث من أسلم» ومن «سرية الدعوة النبوية» إلى «العلة فى إخفاء أبى طالب لإسلامه» ومروراً بمبحث «تدخل الخلفاء وأشياعهم فى تدوين السيرة النبوية» إلى «تصريح العترة النبوية عليهم السلام بإيمان أبى طالب عليه السلام»، وانتهاءً «بدفاع أبى طالب عن إيمانه بالإسلام حتى النفس الأخير».

1- سورة النحل، الآيتان: 58 - 59.

كلها مباحث استطاعت إعادة تركيب صورة حقيقة إيمان أبى طالب عليه السلام، وانه ثالث من أسلم.

من جوار عقيلة بنى هاشم السيدة زينب عليها السلام قد أحرزت توفيقى ومن أروقة مكتبة الأسد بدمشق الشام جمعت مادتى وحررت ورقى.

السيد نبيل قدورى حسن الحسنى 2001 م

ص: 11

المبحث الأول: وقفة مع حديث الضحضاح وآراء العلماء فيه

اشارة

ص: 13

إنَّ الحـديث عن شخصـية أبى طـالب عليه السـلام، حـديث له أحزان وآلام كالتى تركها مصاب فقـده على قلب النبى صـلى الله عليه وآله وسلم.

والحـديث عنه لاـ تسـعه هـذه الوريقـات المعـدودة، بـل لاـ تسـعه كتب كثيرة فيما لو أرادت الأقلام أن تنصـفه وتفى بحقه على الإسـلام والإنسانيـة؛ فبقـدر ما لهذه الشخصـية من فضل كبير على الإسـلام، بقدر ما ظُلمت من أناس لا يختلفون فيما بينهم من حيث الظلم الذى أنزلوه به فى حياته أو بعد مماته.

فالـذين حاربوه فى حياته كان سـبب ظلمهم له هو وقوفه بوجههم كالجبل الشامـخ الذى تكسـرت على سـفحه فؤوسـهم، وتهشـمت على صخوره رؤوسهم.

فكانوا فى حسرة جامرة تتلظى بها أكبادهم، وهم ينظرون إليه وقد انحنى على ابن أخيه كمحارة أطبقت صدفتيها على لؤلؤتها فتكسرت على جوانبها أضراسهم.

والذين حاربوه بعد مماته فلكونه أنجب علياً عليه السلام. الذى أفنى حياته فى الدفاع عن الإسلام وتثبيت قواعده.

وهى حقيقة عرفها مخالفو على عليه السلام ومحبوه، بل حتى الذين اتخذوا نهجاً حيادياً فى تقييمهم للأحداث التى لازمت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله

وسـلم؛ فقد أيقنوا ان السبب فى ظلم أبى طالب واتهامه بعدم الإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو هذه الحقيقة، وفيها يقول ابن أبى الحديد المعتزلى:

ولولا أبو طالب وابنه

***

لما مثل الدين شخصاً وقاما

فذاك بمكة أوى وحامى

***

وهذا بيثرب جس الحماما

تكفل عبد مناف بأمر

***

وأودى فكان علىٌ تماما

فقل فى ثبير مضى بعدما

***

قضى ما قضاه وأبقى شماما

فلله ذا فاتحا للهدى

***

ولله ذا للمعالى ختاما

وما ضر مجد أبى طالب

***

جهول لغا أو بصير تعامى

كما لا يضر إياة الصباح

***

من ظن ضوء النهار الظلاما(1)

فكان أبو طالب عليه السلام كما عرفه التاريخ الإسلامی والإنسانی والحضاری رمزاً من رموز الإيمان؛ وعنصراً من عناصر تكوين الإنسانية؛ وحرفاً من حروف أبجدية الحضارة الإسلامية؛ فبه يكتمل مفهوم هذه الأبجدية، وبدونه يظهر الإسلام كشيفرة وقف عندها الأعراب كثيراً؟!. حتى حارت فيها عقولهم وعجزت عن إدراكها أذهانهم؛ واستنكرتها قلوبهم.

وأنى لهم الوصول إلى معرفة هذه الشخصية والإحاطة بها والقرآن ناطق بعجزهم إذ:

(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِی قُلُوبِكُمْ) (2).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبی الحديد المعتزلی: ج 14، ص 84.
2- سورة الحجرات، الآية: 14.

ولما دخل هؤلاء الأعراب إلى الإسلام وجاءوا إلى هذه الأبجدية وحاولوا قراءتها، احتارت عقولهم عند أحد رموزها، واضطربت قلوبهم من وجودها.

فكيف ترضى تلك القلوب التى لم يدخلها الإيمان ان ترى أبا طالب أحد رموز هذا الإيمان، وأحد عناصره؟.

بل كيف لهذه العقول ان تفتح أبوابها لترد عليها هذه الأبجدية وأحد حروفها أبو طالب عليه السلام.

بل كيف لهذه القلوب ان تهدأ نيران حقدها وغيظها على أبى طالب وقد فوت عليهم مراراً فرص النيل من النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

فكان هذا التحسس وهذا الشعور بالألم حتى التضور بفعل نيران بغضهم وأحقادهم التى تغلى منها أكبادهم ان قالوا:

«ان أبا طالب فى ضحضاح من النار يغلى منها دماغه»(1)؟!.

وفى الواقع ان أدمغتهم هى التى تغلى من نيران أكبادهم... وتتلظى من أجمار قلوبهم.

لان هذا الحديث من الناحية النفسية يكشف عن حقيقة هؤلاء وما عليه حالهم من المعاناة، والألم النفسى الذى يتجرعونه، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه الحقيقة العلمية بقوله:

«ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه»(2).

1- صحيح البخارى، باب: حديث الإسراء، ج 4، ص 247.

2- نهج البلاغة - خطب الإمام على عليه السلام -: ج4، ص 7.

فأراد هؤلاء أن يبينوا الحال الـذى عليه أدمغتهم وما يجرى فيها من غليان، فأشاروا إلى المسـبب لهـذا الغليان، ونسـبوا إليه الحال الذى هم فيه.

ومما يؤسف له أن صـحاح المسلمين تنقل عن ألسنة هؤلاء المنافقين حديث: «الضحضاح»!! دون أن تضع نصب أعينها حرمة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يصفون كافل النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحامى النبوة بهذا الوصف الذى يندى له جبين الإنسانية.

فكان الغرض من هـذا الوصف هو نسب الكفر إلى أبى طالب - والعياذ بالله - مما دعا كثيراً من العلماء من السـنة والشـيعة إلى الـدفاع عن ناصـر الإسـلام وحامى النبوة، فكتبوا العديد من الكتب والبحوث تناولوا فيها الرد على ما ورد عن ألسـنة المنافقين وما نسـبوه إلى أبى طالب عليه السلام من عدم الإيمان بالله والنبوة، نذكر منهم تيمناً:

1 - إيمان أبى طالب عليه السلام تأليف الشيخ المفيد رحمه الله وهو أقدم ما كتب فى هذا الموضوع، وكان قدس سره قد ابتدأه بقوله: «فإننى مثبت بتوفيق الله عز وجل، وما يهب من التسديد، طرفاً من المقال فى المعنى الذى كنت أجريت منه جملاً «بحضـرته معاينة»(1)، وما فى حيزه بيـان الطرف والجمـل من الـدلائل على إيمان أبى طالب بن عبـدالمطلب بن هاشم بن عبـد مناف عليه السـلام، المقتضـبة من مقاله وفعاله، التى لا يمكن دفعها إلا بالعناد، وإن كنت قد أشـبعت الكلام فى هذا الباب فى مواضع من كتبى المصنفات، والأمالى المشهورات ليكون ما يحصل

1- أراد بذلک: أحد أساتذته الذين عرض عليهم بعض جمل هذا الكتاب.

به الرسم فی هذا المختصر تذکارا، ولما أخبرت عنه بیانا، وفی الغرض الملتمس منه کافیاً، وبالله استعین(1).

2 – أبو طالب عم الرسول صلی الله علیه وآله وسلم: لمحمد کامل حسن المحلمی، طبع ضمن سلسلة عظماء الإسلام التی یصدرها المکتب العالمی فی بیروت.

3 – أبو طالب مؤمن قریش: للأستاذ الأدیب الشیخ عبدالله بن علی الخنیزی القطیفی المولود سنة (1350) هـ، مطبوع عدة مرات، ترجم له الشیخ الطهرانی فی «نقباء البشر»(2).

وقال: «حکم علیه من أجله – أی کتابه أبو طالب مؤمن قریش – قضاة الشرع السعودیون بالإعدام لولا أن أنجته الصرخات التی توالت من البلدان الإسلامیة وزعماء الدین من الشیعة من تنفیذ ذلک به».

4 – إثبات إسلام أبی طالب: لمحمد معین بن محمد أمین بن طالب الله الهندی السندی التتوی الحنفی، المتوفی سنة (1161) هـ، أحد العلماء المبرزین فی الحدیث والکلام والعربیة.

ذکره سماحة الحجة السید عبد العزیز الطباطبائی فی «أهل البیت فی المکتبة العربیة»، رقم (13).

5 – أخبار أبی طالب وولده: للعلامة الحافظ أبی الحسن علی بن محمد بن عبدالله بن أبی سیف المدائنی الأخباری (135 – 215) وقیل 225هـ، قال عنه

1– إیمان أبی طالب، الشیخ المفید: ص 17، 18.

2– نقباء البشر، آغا بزرک الطهرانی: ج 4، ص 1393.

الذهبی: «کان عجبا فی معرفة السیر والمغازی والأنساب وأیام العرب، مصدقاً فیما ینقله، علی الإسناد»(1).

عد هذا الکتاب من تصانیفه ابن الندیم فی «الفهرست»(2)، وياقوت الحموی فی «معجم الأدباء»(3).

6 - أسنی المطالب فی نجاة أبی طالب للعلامة احمد زینی دحلان، الفقیه الخطیب مفتی الشافعیة «1232 - 1340 هـ»، اختصر فیه کتاب «بغیة الطالب لإیمان أبی طالب» للعلامة محمد بن رسول البرزنجی، وأضاف علیه مطالب مهمة، طبع بمصر سنة (1305هـ) وبعدها مکرراً.

وترجمه إلی اللغة الأردویة المولوی الحکیم مقبول أحمد الدهلوی وطبع فی دلهی سنة (1313هـ)، ذکره الشیخ فی الذریعة(4).

7 - إیمان أبی طالب: لأحمد بن القاسم.

قال عنه النجاشی: «الرجل من أصحابنا رأینا بخط الحسین بن عبیدالله کتاباً له فی إیمان أبی طالب»(5).

والحسین بن عبیدالله هو أبو عبدالله الغضائری شیخ النجاشی بالإجازة، مات سنة (411هـ).

1- سیر أعلام النبلاء، الذهبی: ج 10، ص 400.

2- الفهرست لابن الندیم: ص 148.

3- معجم الأدباء لیاقوت الحموی: ج 14، ص 131.

4- الذریعة إلی تصانیف الشیعة لآغا بزرک الطهرانی: ج 4، ص 78.

5- رجال النجاشی: ص 95.

8 - إيمان أبی طالب: للشيخ أبی الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن طرخان الجرجرائی الكاتب، قال عنه النجاشی: «ثقة، صحيح السماع، وكان صديقنا»(1).

9 - إيمان أبی طالب: للشيخ الرجالی أبی علی أحمد بن محمد بن عمار الكوفی المتوفی سنة (346هـ)، وصفه النجاشی(2)، والشيخ الطوسی: «شيخ من أصحابنا، ثقة، جليل القدر، كثير الحديث والأصول»(3). وله أيضاً كتاب: أخبار آباء النبی صلی الله عليه وآله وسلم وفضائلهم وإيمانهم وكتاب الممدوحين والمذمومين.

10 - إيمان أبی طالب: للفقيه المتكلم السيد الجليل أبی الفضائل جمال الدين احمد بن موسی بن جعفر بن طاووس العلوی الحسنی الحلی، المتوفی سنة (673هـ)، ذكره هو فی كتابه بناء المقالة الفاطمية فی نقض الرسالة العثمانية.

11 - إيمان أبی طالب: للشيخ المحدث الجليل أبی محمد سهل بن أحمد بن عبدالله بن احمد بن سهل الديباجی البغدادی «286 - 380هـ»، ذكر كتابه النجاشی فی رجاله(4).

12 - إيمان أبی طالب: لأبی نعيم علی بن حمزة البصری اللغوی المتوفی سنة (375هـ) أحد أعيان أهل اللغة الفضلاء المحققين العارفين بصحيحها من سقيمها.

1- رجال النجاشی: ص 87.

2- رجال النجاشی: ص 95.

3- الفهرست للشيخ الطوسی: ص 29.

4- رجال النجاشی: ص 186.

ذكر كتابه هذا الشيخ الطهرانی، وقال: «نقل من بعض فصوله الحافظ العسقلانی فی ترجمة أبی طالب فی الإصابة وصرح بكونه رافضياً»(1).

13 - إيمان أبی طالب: للميرزا محسن ابن الميرزا محمد المعروف بـ«والا- مجتهد» القرة داغی التبريزی من أعلام القرن الثالث عشر(2).

14 - إيمان أبی طالب: للسيد حسين المجتهد المفتی الموسوی العاملی الكركی، المتوفی سنة (1001هـ)؛ وقد نسب هذا الكتاب لمؤلفه المذكور «الشيخ الطهرانی وقال: لبعض الأصحاب استدل فيه - أی فی هذا الكتاب - علی إيمانه بفعاله ومقاله وفعال النبی صلی الله عليه وآله وسلم به، ومقاله فيه؛ فذكر بعد بيان أفعال أبی طالب أقواله المنبئة عن إسلامه وحسن بصيرته، وأورد كثيراً من أشعاره من الشرح والبيان(3).

15 - بغية الطالب فی إسلام أبی طالب، ينسب للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطی الشافعی المتوفی سنة (911هـ) توجد نسخته فی مكتبة (قوله) بمصر، ضمن مجموعة برقم (16) تاريخها (1105هـ)(4).

16 - بغية الطالب فی إسلام أبی طالب، للعالم الجليل المفتی السيد محمد عباس ابن السيد علی أكبر الموسوی التستری اللكهنوی (1224 - 13206هـ)، ذكره اللكهنوی فی كشف الحجب، والشيخ الطهرانی فی الذريعة(5).

1- الذريعة لآغا بزرک الطهرانی: ج 2، ص 513.

2- كلمة فارسية يراد بها «المجتهد الأعلی». «الذريعة لآغا بزرک الطهرانی: ج 2، ص 513».

3- الذريعة للطهرانی: ج 2، ص 512.

4- الذريعة للطهرانی: ج 2، ص 511.

5- الذريعة للطهرانی: ج 3، ص 134.

17 – بغیـة الطالب فی بیان أحوال أبی طالب، وإثبات إیمانه وحسن عقیدته، للسـید محمد بن حیدر بن نور الدین علی الموسوی الحسـینی العاملی، فرغ منه سنة (1096هـ)، ذکره الشیخ فی الذریعة(1).

18 – بغیـة الطالب لإیمان أبی طالب، للعالم محمـد بن عبد الرسول البرزنجی الشافعی الشـهروزی المدنی (1040 – 1103 هـ) لخصه أحمد زینی دحلان، وسماه: «أسنی المطالب فی نجاة أبی طالب».

19 – البیان عن خیرة الرحمن فی إیمان أبی طالب وآباء النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم لأبی الحسن علی بن بلال بن أبی معاویة المهلبی الأزدی، وصـفه النجاشـی فی رجاله بقوله: «شـیخ أصحابنا بالبصرة، ثقة، سمع الحدیث فأکثر»(2). روی النجاشـی کتبه عن شیخه المفید واحمد بن علی بن علی بن نوح وذکر کتابه هذا أیضاً الشیخ الطوسی فی الفهرست»(3).

20 – الحجة علی الذاهب إلی تکفیر أبی طالب للعالم الفقیه شمس الدین أبی علی فخار بن معد الموسوی، المتوفی سنة (630 هـ)، کتاب قیم، کبیر الفائدة، طبع عدة مرات.

21 – دیوان أبی طـالب وذکر إسـلامه، لأبی نعیم علی بن حمزة البصـری التمیمی اللغوی، المتوفی سـنة (375 هـ)، ذکره بهـذا العنوان فی الذریعة(4).

1- الذریعة للطهرانی: ج 3، ص 135.

2- رجال النجاشی: ص 265.

3- الفهرست للطوسی: ص 96.

4- الذریعة للطهرانی: ج 9، ص 42.

22 – الرغائب فی إیمان أبی طالب، للعلامة السید مهدی بن علی الغریفی البحرانی النجفی، ذکره الشیخ الطهرانی(1).

23 – شعر أبی طالب بن عبد المطلب وأخباره: للأدیب الشاعر أبی هفان عبدالله بن احمد بن حرب المهزمی العبدی، من شیوخ ابن درید الأزدی المتوفی سنة (321هـ)، ذکره النجاشی(2). طبع فی المطبعة الحیدریة فی النجف الأشرف سنة (1356هـ) بشرح اللغوی الأدیب عثمان بن جنی المتوفی سنة (392هـ)، عن النسخة التی کتبها عفیف بن أسعد ببغداد سنة (380هـ) عن نسخة بخط الشیخ ابن جنی وعارضها به وقرأها علیه.

24 – الشهاب الثاقب لرجم مکفر أبی طالب، للعلامة الحجة الشیخ المیرزا نجم الدین جعفر شریف ابن المیرزا محمد بن رجب علی الطهرانی العسکری (1313 – 1395هـ) مخطوط.

25 – شیخ الأبطح للعلامة الفاضل السید محمد علی ابن العلامة الحجة عبدالحسین الموسوی آل شرف الدین الموسوی کتاب لطیف فی إثبات إیمان أبی طالب وبعض شعره، والرد علی من نصب له العداوة طبع (1349هـ) ذکره الشیخ فی الذریعة(3).

26 – شیخ بنی هاشم، للفاضل عبد العزیز سید الأهل، طبع سنة (1371هـ)(4).

1- الذریعة للطهرانی: ج 11، ص 241.

2- رجال النجاشی: ص 218.

3- الذریعة للطهرانی: ج 14، ص 265.

4- الذریعة للطهرانی: ج 14، ص 265.

27 – فصاحة أبی طالب، للسید الشریف المحدث أبی محمد الحسن بن علی ابن الحسن بن عمر بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب الأطروش(1).

28 – فضل أبی طالب وعبد المطلب وأبی النبی صلی الله علیه وآله وسلم لشیخ الطائفة وفقیهها أبی القاسم سعد بن عبد الله بن أبی خلف الأشعری القمی، المتوفی سنة (229) أو (301ه_) (2).

29 – فیض الواهب فی نجاة أبی طالب، للشیخ احمد فیض ابن الحاج علی عارف عثمان بن مصطفی الجورومی الحنفی (1253 – 1327ه_) (3).

30 – القول الواجب فی إیمان أبی طالب، للعلامة الشیخ محمد علی ابن المیرزا جعفر علی الفصیح الهندی، نزیل مکة، فرغ منه فی جمادی الأولی سنة (1299ه_) (4).

31 – مقصد الطالب فی إیمان آباء النبی وعمه أبی طالب، للمیرزا شمس العلماء محمد حسین بن علی بن رضا الجرجانی المشهور بجناب، طبع فی بومبای سنة (1361ه_) (5).

32 – منی الطالب فی إیمان أبی طالب، للشیخ المفید أبی سعید محمد بن احمد بن الحسین بن احمد الخزاعی النیسابوری جد الشیخ المفسر أبی الفتوح

1- رجال النجاشی: ص 57.

2- رجال النجاشی: ص 177.

3- هدایة العارفین: ج 1، ص 195.

4- الذریعة للطهرانی: ج 17، ص 216.

5- الذریعة للطهرانی: ج 22، ص 111.

الرازی، من أعلام القرن الخامس الهجری، ذکره الشیخ منتجب الدین الرازی فی الفهرست(1). والحر العاملی فی أمل الآمل(2).

33 - منیة الراغب فی إیمان أبی طالب، للعلامة الشیخ محمد رضا الطبسی النجفی، ذکره فی کتابه «ذرایع البیان»(3) وذکر فی فهرس مؤلفاته المطبوع فی آخر کتابه «ذرایع البیان»؛ أن «منیة الراغب» طبع ثلاث مرات باللغتین العربیة والفارسیة.

34 - منیة الطالب فی إیمان أبی طالب، للسید الجلیل حسین الطباطبائی الیزدی الشهیر بالواعظ المتوفی سنة (1307هـ) فارسی مطبوع(4).

35 - منیة الطالب فی حیاة أبی طالب، للسید حسن بن علی حسین القبانجی الحسینی النجفی ألفه سنة (1358هـ) قال الشیخ الطهرانی: «رأیته بخطه فی 28 صفحة»(5).

36 - مواهب الواهب فی فضائل أبی طالب للعلامة البارع الشیخ جعفر بن محمد النقدی التستری النجفی (1303 - 1370هـ) ألفه سنة (1322هـ) وطبع فی النجف الأشرف سنة (1341هـ).

37 - الیاقوتة الحمراء فی إیمان سید البطحاء، للسید الفاضل طالب الحسینی آل علی خان المدنی الشهیر بالخرسان المعاصر، والکتاب فی مقدمة وثمانیة فصول، وما یزال مخطوطا عنده».

1- الفهرست: ص 102.

2- أمل الآمل: ج 2، ص 240.

3- ذرایع البیان: ج 1، ص 169.

4- الذریعة للطهرانی: ج 23، ص 204.

5- الذریعة للطهرانی: ج 23، ص 204.

38 – ظلامة أبی طالب للعلامة المحقق السید جعفر مرتضی العاملی.

فکانت هذه قائمة بأسماء الکتب المؤلفة فی إیمان أبی طالب(1)، ناهیک عن کثیرٍ من الأبحاث الضمنیة فی بطون الدراسات الإسلامیة التی تناول فیها کتابها إشباع موضوع إیمان أبی طالب علیه السلام بالحجج والدلائل، منهم:

1 – العلامة الشیخ عبد الحسین النجفی الأمینی رحمه الله فی کتابه الخالد «الغدیر»(2) وقد ناقش الشیخ رحمه الله سند روایة الضحضاح، وبیّن طرقها ووهنها وضعفها وتناقض نصوصها العجیبة؛ بل یکفی لمن کان له ولو اطلاع بسیط علی التاریخ الإسلامی ان یحکم علی هذه الروایة بالزیف والسخف؛ إذ یکفی أن راویها «المغیرة بن شعبة»(3) المشهور الزنی(4) والبغض لعلی بن أبی طالب علیه السلام.

1– اعتمدنا فی نقل هذه القائمة علی کتاب «إیمان أبی طالب» للشیخ المفید رحمه الله تحقیق مؤسسة البعثة.

2– الغدیر للأمینی النجفی: ج 7، ص 368 – 410.

3– المغیرة بن شعبة بن أبی عامر بن قیس الثقفی، أسلم عام الخندق، ولاه عمر بن الخطاب البصرة، ولم یزل علیها حتی شهد علیه بالزنا، فعزله، ثم ولاه الکوفة، واقره عثمان علیها، روی عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم وعنه أبو أمامة الباهلی وقیس بن أبی حازم، ومسروق، ونافع، مات سنة 50 هـ. لمعرفة المزید، أنظر: أسد الغابة: ج 4، ص 406؛ الإصابة لابن حجر: ج 3، ص 452 / 8179؛ تهذیب التهذیب: ج 10، ص 234.

4– اشتهرت هذه الحادثة اشتهاراً کبیراً فی المصادر التاریخیة فی أحداث سنة 17 للهجرة، فمنهم من ذکرها مفصلاً کـ: «شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید المعتزلی: ج 12، ص 236؛ وفیات الأعیان لابن خلکان: ج 6، ص 365؛ السقیفة للجوهری: ص 92؛ الإیضاح للفضل بن شاذان: ص 553». ومنهم من ذکرها ملخصاً، راجع: «فتح الباری فی شرح صحیح البخاری لابن حجر، باب: شهادة القاذف والسارق، ج 5، ص 187. عمدة القارئ للعینی: ج 13، ص 208. الإصابة لابن حجر: ج 2، ص 49». وفی شهرت الحدث قال ابن أبی الحدید: «أن الخبر بزناه کان شایعاً مستفیضاً بین الناس». «شرح نهج البلاغة للمعتزلی: ج 2، ص 163».

بل، لقد بالغ فی إظهار بغضه وحربه للإمام أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب، ویکفینا فی الاستدلال علی ذلک شاهدان:

الشاهد الأول

ما رواه الجاحظ عن ابن الجوزی حیث قال: «قدمت الخطباء إلی المغیرة بن شعبة بالکوفة، فقام صعصعة بن صوحان فتکلم، فقال المغیرة: أخرجوه فأقیموه علی المصطبة فلیلعن علیاً فقال - صعصعة -: «لعن الله من لعنه الله ولعن علی بن أبی طالب» فأخبروه بذلک، فقال: أقسم بالله لتقیدنه فخرج - صعصعة - فقال: «إن هذا یأبی إلا علی بن أبی طالب فالعنوه لعنه الله». فقال المغیرة: أخرجوه أخرج الله نفسه»(1).

الشاهد الثانی

أخرج احمد بن حنبل فی مسنده عن قطبة بن مالک، قال: نال المغیرة بن شعبة من علی فقال: زید بن أرقم: قد علمت أن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کان ینهی عن سب الموتی، فلم تسب علیاً وقد مات»(2).

ولذا، کیف یمکن ان یکون حدیث من هذا حاله؟! بل کیف یمکن لعاقل أن یصدق بحدیث الضحضاح وراویه ینصب العداء لله ورسوله صلی الله علیه وآله وسلم.

1- رسائل الجاحظ: ص 92. الأذکیاء: ص 98.

2- المسند: ج 4، ص 369. وفی ج 1، ص 188. أخرج أحادیث نیله من أمیر المؤمنین علیه السلام.

2 – وممن تناول الحديث عن إيمان أبى طالب رضوان الله تعالى عنه العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملى فى كتابة الصحيح من سيرة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم(1).

3 – الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة(2) فى كتابه خاتم النبيين، وجاء فى نهاية البحث قوله رحمه الله: «ونحن نقول فيما استنبطنا، انه ليس بمشرك قط، لان المشرك من يعبد الأصنام، ويشركها مع الله تعالى، وأفعاله ومواقفه تدل على أنه يرى عبادة الأصنام ويراها أمراً باطلاً.

ولذلک: أميل أن استغفر له أن كنت من أهل هذا المقام، وأرى أنه ليس بكافر أصلاً»(3).

وهذا أقل ما يمكن أن يعتقده المسلم، وهو ينظر بعين العقل والإنصاف إلى تلک الشخصية الكبيرة وشدة ارتباطها بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولو اتبع المسلمون سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحق، وخافوا الله فى أنفسهم، ورجعوا إلى حديث الثقلين «متمسكين» بكتاب الله وعترة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، لوجدوا ان كثيراً مما سمعوا أو قرؤوا عن الإسلام لبعيد كل البعد عنه ولأيقنوا لم هم اليوم يتخبطون فى سيرهم، تحيط بهم الأخطار، وتحف بهم الأهوال، وقد أصبح حالهم نهباً وتراثهم غصباً.

1- الصحيح من سيرة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: ج 3، ص 227 – 260.

2- رئيس قسم الشريعة فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

3- خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم: ج 1، ص 530 و535.

المبحث الثانی: تلویح الحافظ الخرکوشی بإسلام أبی طالب علیه السلام وأنه ثالث من أسلم

اشارة

ص: 31

قبل البدء فی ذکر الأدلة والقرائن التی تبین أنّ أبا طالب علیه السلام هو «ثالث من أسلم» نشیر إلی الملاحظة الآتیة:

«ربما یظن البعض انّ هناک نصاً صریحاً یشیر بوضوح إلی هذه المسألة، فنقول: لو کان لدینا نص صریح لما کانت هناک مشکلة أصلاً، ولتمکن کثیرٌ من العلماء والباحثین من الاحتجاج بهذا النص الصریح ولانتهی الأمر، وبخاصة عند طائفة کبیرة من المسلمین.

لکن الأمر هنا یختلف تماماً فلقد عمد أعداء الله إلی صیاغة الأمور بشکل محکم لیضلّوا کثیراً من الناس، ویصدوهم عن السبل المؤدیة إلی الطریق المستقیم.

ولکن مهما کان العمل محکماً یبقی ضعیفاً لأنه مستمد من کید الشیطان، والله تعالی یقول: (إِنَّ کَیْدَ الشَّیْطَانِ کَانَ ضَعِیفًا) (1)، وهو فی نفس الوقت منحصر بهم، (وَلَا یَحِیقُ الْمَکْرُ السَّیِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) (2).

وإنّ الله عز وجل غالب علی ما یمکرون، (وَاللَّهُ خَیْرُ الْمَاکِرِینَ) (3).

1- سورة النساء، الآیة: 76.

2- سورة فاطر، الآیة: 43.

3- سورة آل عمران، الآیة: 54.

ومن هنا فأننا سرنا مستعينين بالله وبعترة النبى الهادى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين غير مدخرين جهداً فى الوصول إلى هذه الحقيقة، سائلين الله تعالى القبول وله الفضل والمنّة.

رواية الحافظ الخركوشى رحمه الله

اشارة

رواية الحافظ الخركوشى رحمه الله(1)

اخرج الحافظ أبو سعيد الخركوشى فى شرف المصطفى الرواية التالية، قائلاً:

«ان أول من أسلم خديجة فقامت تصلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء على عليه السلام فرآهما يصليان فدخل معهما الإسلام فقاموا ثلاثتهم يصلون.

ص: 34

1- ترجم له الذهبى بقوله: «الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو سعيد، عبد الملک بن أبى عثمان محمد بن إبراهيم، النيسابورى الواعظ. وخركوش: سكة بنيسابور؛ حدث عن: حامد الرفاء، ويحيى بن منصور، وأبى عمرو بن مطر، وإسماعيل بن نجيد، وطبقتهم. وتفقه بأبى الحسن الماسرجسى، وسمع بدمشق وبغداد ومكة، وجاور وصحب الكبار، ووعظ وصنف، ورزق القبول الزائد، وبعد صيته. له تفسير كبير، وكتاب «دلائل النبوة» وكتاب الزهد. حدث عنه: الحاكم وهو أكبر منه، والحسن بن محمد الخلال، وعبد العزيز الأزجى وأبو القاسم التنوخى، وأبو القاسم القشيرى، وأبو صالح المؤذن، وأبو بكر بن خلف، وخلق - كثير -. قال الحاكم: أقول إنى لم أر أجمع منه علما وزهداً، وتواضعا، وإرشادا إلى الله وإلى الزهد، زاده الله توفيقاً، وأسعدنا بأيامه وقد سارت مصنفاته - فى كل مكان -. توفى فى جمادى الآخرة سنة 407هـ وكان ممن وضع له القبول فى الأرض، وكان الفقراء فى مجلسه كالأمراء وكان يعمل القلانس ويأكل من كسبه، بنى مدرسة وداراً للمرضى، ووقف الأوقاف، وله خزانة كتب موقوفة. «سير أعلام النبلاء للذهبى: ج 17، ص 256». وقال الخطيب البغدادى عنه: «كان ثقةً ورعاً صالحاً». «تاريخ بغداد: ج 10، ص 432». وقال الزركلى: من فقهاء الشافعية بنيسابور، من كتبه البشارة والنذارة، وتفسير الأحلام، وسير العباد والزهاد، ودلائل النبوة، وشرف المصطفى ثمانية أجزاء، وغيرها. «الأعلام للزركلى: ج 4، ص 163».

ثم جاء أبو طالب وهم يصلون فقال:

ما هذا الذى أظهرته يا محمد.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«هذا دين الله الذى ارتضاه لنفسه، لا يقبل الله من أنبيائه ورسله غيره، فان دخلت معى فيه وإلاّ فاكتم عَلَىَّ».

قال أبو طالب لعلى: الاّ ترى إلى محمد ما يقول؟!. قال عليه السلام:

يا أبه انّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لصادق فيما يقول وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله.

قال أبو طالب: أقيما على ما أنتما عليه فلن ينالكما أحد بسوء، وتتابع المسلمون، وأظهر الله دينه، واعزّ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم»(1).

والرواية تضمنت عدة مسائل تدل على أنه ثالث من أسلم وهى الآتى ذكرها:

1- شرف المصطفى للحافظ أبى سعيد عبد الملك النيسابورى الخركوشى، ص 24، والكتاب هو: «مخطوط» يرقد فى مكتبة الأسد الوطنية بدمشق ويحمل الرقم «1887»، رقم المصغر الفيلمى «4861»، وقد احتوت الصفحة الأولى من المخطوط على: «وقف الملا عثمان الكردى، تأليف الإمام العالم الواعظ أبى سعيد عبد الملك بن أبى عثمان بن محمد بن إبراهيم النيسابورى، رواية العالم الأستاذ أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القيشرى رحمه الله رواية الإمام العالم ناصح السنة أبى القسم عبد الملك بن معافا التنوخى رحمه الله، رواية الإمام الفقيه أبى الخير احمد بن إسماعيل بن يوسف القزوينى الطالقانى الحاكمى رحمه الله، رواية ولده الصالح العابد الزاهد السالم ابن المناقب محمد بن احمد بن إسماعيل بن يوسف القزوينى، سماع منه لصاحب الكتاب الفقير إلى رحمة الله عمر بن يوسف يحيى بن عمر بن كامل المقدسى السامعى، وبسماع ولديه أى طاهر يوسف وأبى العلى داود. (مكتبة ديوان مستند الشام).

المسألة الأولى: السياق العام للرواية

إنّ سياق الرواية يشير بشكل واضح إلى التسلسل الدقيق لمن أسلم، فقد بدأ الحافظ الخركوشى بعرض الرواية قائلاً:

«إن أول من أسلم خديجة فقامت تصلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء على فرآهما يصليان فدخل معهما الإسلام فقاموا ثلاثتهم يصلون ثم جاء أبو طالب وهم يصلون».

هذا النسق وهذا السياق الذى تفيده الرواية لا يقبل الشک أنّ الشخص الثالث الذى علم بالأمر هو أبو طالب وان وقت إسلامه عليه السلام هو هذا الوقت وذلک من خلال الحديث الذى دار بينه وبين النبى صلى الله عليه وآله وسلم من جهة، وبينه وبين ولده على عليه السلام من جهة ثانية، كما سيمر بيانه لاحقاً بعون الله تعالى.

المسألة الثانية: قوله عليه السلام «ما هذا الذى أظهرته»

هذا القول الاستفهامى يدل على ان أبا طالب عليه السلام كان يعلم بنبوة ابن أخيه صلى الله عليه وآله وسلم، وان هذه الصلاة هى أحدى مظاهر النبوة فلذا قال له: «ما هذا الذى أظهرته» ولم يقل: «ما هذا الذى فعلته أو تفعله»؟! والفرق بيّنٌ ظاهر فى المعنى الدلالى للفظين، إذ الاستفسار عن ظهور هذا الأمر يدل على العلم المسبق به إلا أنّ ظهوره كان يتوقف على أمرٍ معين، أما الاستفسار عن الفعل فيدل على الجهل بعين هذا الفعل. ولعل غاية السؤال كانت لمعرفة نزول الأمر الإلهى المتمثل بنزول جبرئيل عليه السلام وإظهار هذه النبوة. لأنّ الصلاة فعل من أفعال النبوة فلذلک لم يسأله عن عين الفعل وإنما عن الأمر الباعث لهذا الفعل.

ومما يدل عليه:

أولاً: وقوع الآيات ليلة مولده صلى الله عليه وآله وسلم ودلالتها على أنه المخصوص بالنبوة إنّ الآيات الكثيرة التى وقعت ليلة مولده صلى الله عليه وآله وسلم ک_«انكفاء الأصنام يومئذ على وجوهها وسقوطها عن أماكنها، وارتجاج إيوان كسرى، وسقوط بعض شرفه، وخمود نار فارس، ولم تخمد قبلها، وغيض بحيرة ساوة، وما رآه النجاشى ملک الحبشة، وظهور النور معه أضاءت له قصور الشام حين ولد(1)، ودنو النجوم منهم، وغير ذلک»، مما اختزنته كتب اليهود والنصارى من أحاديث عن السيد المسيح عليه السلام ومن سبقه من المرسلين والأنبياء عليهم السلام كلها لتجمع على أن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم قد ولد فى هذه الليلة. التى يقول فيها الشقنيطى: «وقد كان لمولده من الأحداث الكونية ما ألفت أنظار العالم كله»(2).

فإذا كانت الرهبان، والكهنة، والمنجمون، والعالم كله، قد علموا وأيقنوا بولادته صلى الله عليه وآله وسلم فكيف بجده عبد المطلب وعمه أبى طالب رضوان الله عليهما.

1- لمعرفة بقية الآيات، أنظر: امتاع الأسماع للمقريزى: ج 4، ص 60؛ الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض: ج 1، ص 366؛ أضواء البيان للشقنيطى: ج 8، ص 383؛ السيرة النبوية لابن كثير: ج 1، ص 212.

2- أضواء البيان للشقنيطى: ج 8، ص 383.

ثانياً: ظهور البركة معه صـلى الله عليه وآله وسلم وحلولها أينما نزل من الدلائل التى ظهرت لأبى طالب عليه السلام فى ابن أخيه صلى الله عليه وآله وسـلم هى ظهور البركة معه، وحلولها أينما نزل، هذه الآية الربانية كانت ترافق النبى صلى الله عليه وآله وسلم منذ ولادته ولاسيما حينما أرضعته حليمة السعدية(1).

ثالثاً: ظهور آيات منه صـلى الله عليه وآله وسـلم بعد العاشـرة من عمره بقليل روى ابن كثير قائلاً: «فلما كان له بضع عشـرة سـنة خرج معه الزبير إلى اليمن. فذكر أنهم رأوا منه آيات فى تلك السفرة منها:

1 - أن فحلا من الإبل قد قطع بعض الطريق فى واد ممرهم عليه فلما رأى رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم برك حتى حک بكلكله(2) الأرض فركبه عليه الصلاة والسلام(3).

2 - ومنها انه خاض بهم سيلاً عرما فأيبسه الله تعالى حتى جاوزوه»(4).

رابعاً: ظهور الآيات منه صـلى الله عليه وآله وسـلم لجده عبدالمطلب عليه السـلام ألف - «روى أن قوماً من بنى مدلج قالوا لعبد المطلب: احتفظ به - أى بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم - فإنا لم نر قدماً أشبه بالقدم الذى فى المقام منه - أى

1- البداية والنهاية: ج 2، ص 334.
2- الكلكل: الصدر من كل شىء، وقيل هو ما بين الترقوتين. «لسان العرب لابن منظور: فصل الكاف، ج 11، ص 597».
3- السيرة النبوية لابن كثير: ج 1، ص 232.
4- البداية والنهاية لابن كثير: ج 2، ص 338.

انهم لم يروا قدماً أشبه بالقدم التى فى مقام إبراهيم عليه السلام عند بيت الله الحرام بمكة من قدم النبى صلى الله عليه وآله وسلم -.

فقال عبدالمطلب لأبى طالب عليه السلام: اسمع ما يقول هؤلاء! فكان أبو طالب يحتفظ به»(1).

وفى آثار أقدام نبى الله إبراهيم عليه السلام المغروسة فى الحجر حينما بنى بيت الله تعالى يقول أبو طالب عليه السلام فى قصيدته اللامية المشهورة والتى يعلن فيها تمسكه بعقيدته ودفاعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما رأيت القوم لا ود فيهم

***

وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعدواة والأذى

***

وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

وقد حالفوا قوماً علينا أظنهم

***

يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل

صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة

***

وأبيض عضب من تراث المقاول

واحضرت عند البيت رهطى وإخوتى

***

وامسكت من أثوابه بالوصائل

إلى أن يقول:

أعوذ برب الناس من كل طاعن

***

علينا بسوء أو ملح بباطل

ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة

***

ومن ملحق بالدين ما لم نحاول

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه(2)

***

وراق ليرقى فى حراء ونازل

وبالبيت، حق البيت، من بطن مكة

***

وبالله أن الله ليس بغافل

1- الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج 1، ص 118؛ امتاع الأسماع للمقريزى: ج 4، ص 97؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 3، ص 85.

2- هنا يقسم أبو طالب بمن خلق الأبراج فى السماء، وهو الله تعالى.

وبالحجر المسود إذ يمسحونه

***

إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل

وموطئ إبراهيم فى الصخر رطبة

***

على قدميه حافياً غير ناعل(1)

باء - استسقاء عبدالمطلب عليه السلام بالنبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن البراهين والآيات التى ظهرت لقريش عامة ولآل عبدالمطلب خاصة هى «استسقاء عبدالمطلب عليه السلام بالنبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. ولاشتهار هذه الآية الربانية بين أهل مكة وزوارها من الحجاج والتجار كان أبو طالب عليه السلام يذكرهم بها حينما اشتد الحال على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من طغاة قريش لعل البعض منهم يرتد عن غيه وطغيانه.

وأما الحادثة فقد رواها عدد كثير من الرواة وأخرجها بعض الحفاظ فى مصنفاتهم، كالطبرانى، والهيثمى، والزمخشرى، وابن أبى الحديد المعتزلى، والزيلعى وابن عساكر، وغيرهم... .

«فعن رقية بنت أبى صيفى بن هاشم وكانت أمة لدى عبدالمطلب، قالت: تتابع على قريش سنون أقلحت(2) وأملحت الضرع وأدقت العظم فبينا أنا راقدة(3) اللهم أو مهمومة، إذا هاتف يصرخ بصوت صحل(4) ، يقول: يا معشر قريش إنّ

1- السيرة النبوية لابن هشام: ج 1، ص 177؛ السيرة الحلبية: ج 1، ص 178؛ السيرة النبوية لابن كثير: ج 1، ص 487؛ فتح البارى لابن حجر: ج 8، ص 129.

2- أقلحت: من قحل قحولا وقحل قحلاً إذا يبس. «الفايق، الزمخشرى، فصل القاف مع الحاء: ج 3، ص 67».

3- الرقود: النوم بالليل والنهار المستحكم. «تاج العروس للزبيدى: ج 2، ص 73».

4- الصحل: الصوت الذى يكون فيه بحوحة. «الصحاح للجوهرى: ج 2، ص 73».

هـذا النبی المبعوث قد أظلتکم أیامه وهذا إبان نجومه(1) فحیهلا بالحیاء والخصب ألا فانظروا إلی رجلٍ منکم وسـیطٍ عظاما جساماً أبیض بضیاء أوطف(2) الأهداب سهل الخدین أشم العرنین(3) له فخر یکظم علیه وسـنة یهدی إلیها فلیخلص هو وولده(4) ولیهبط إلیه من کل بطن رجل فلیشنوا(5) من الماء ولیمسوا من الطیب ولیستلموا الرکن ثم لیرقوا أبا قبیس(6) ثم لیدع الرجل ولیؤمن القوم ألا فغثتم ما شئتم.

فأصـبحت علم الله مذعورة، وأقشـعر جلدی ووله عقلی؛ واقتصصت رؤیای ونمت فی شعاب مکة، فوالحرمة والحرم ما بقی بها أبطحی إلا قال: هذا شـیبة الحمد، وتناهت إلیه رجالات قریش، وهبط إلیه من کل بطن رجل فشـنوا ومسوا واسـتلموا الرکن ثم أرتقوا أبا قبیس واصطفوا حوله ما یبلغ سعیهم مهلة حتی إذا استووا بذروة الجبل قام عبدالمطلب فاعتضد ابن ابنه محمداً (صلی الله علیه

1- إبان نجومه: أی وقت ظهوره. «الفایق: ج 3، ص 67».

2- أوطف الأهداب: أی طویلها. «الفایق للزمخشری: ج 3، ص 67».

3- اشم العرنین: هو أول الأنف حیث یکون فی الشمم، یقال: شم العرانین. «الصحاح، الجوهری: ج 6، ص 216».

4- فلیخلص: أی فلیتمیز هو وولده من الناس. «الفایق، الزمخشری: ج 3، ص 68».

5- فلیشـنوا من الماء: شن الماء علی وجهه وعلی التراب: فرقه علیه وصـبه صـبا. «تاج العروس، الزبیدی: ج 18، ص 327». والمراد منه: الاغتسال.

6- أبا قبیس: جبل من جبال مکة.

وآله وسلم) فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو كرب، فرفع يديه وقال:

«اللهم ساد الخلة(1) وكاشف الكربة، أنت مُعَلِّمٌ غير مُعَلَّمٍ، ومسؤول غير مبخل وهذه عبداؤک واماؤک بعذارت حرمک، يشكون إليک سنتهم أذهبت الخف والظلف اللهم فامطر علينا غيثا مغدقا مريعاً».

فورب الكعبة ما راموا حتى تفجرت السماء بما فيها بمائها واكتظ الوادى بثجيجة(2) فسمعت شيخان قريش وجلتها، عبد الله بن جدعان، وحرب بن أمية وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب: هنيئاً لک أبا البطحاء، أى: عاش بک أهل البطحاء، وفى ذلک تقول رقية بنت أبى صيفى:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا

***

وقد فقدنا الحيا وأجلوَّذ المطر

فجاء بالماء جونى له سبل

***

سحا فعاشت به الأنعام والشجر

منّا مِنَ الله بالميمون طائره

***

وخير من بُشرت يوماً به مضر

مبارک الأمر يستسقى الغمام به

***

ما فى الأنام له عدل ولا خطر(3)

1- الخلة، بالفتح: الحاجة والفقر: أى جابرها. «النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير: ج 2، ص 73».

2- الثجيج: وسط الشىء ومعظمه وأعلاه. وثج البحر: علو وسطه إذا تلاقت أمواجه. «تاج العروس، الزبيدى: ج 3، ص 67».

3- الأحاديث الأطوال للطبرانى: ص 69؛ المعجم الكبير للطبرانى: ج 24، ص 260؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج 2، ص 215؛ كتاب الدعاء للطبرانى: ص 606؛ الفايق فى غريب الحديث للزمخشرى: ج 3، ص 67؛ شرح نهج البلاغة: ج 7، ص 272؛ تخريج الأحاديث

للزيلعى: ج 3، ص 234؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 57، ص 148؛ أسد الغابة: ج 5، ص455؛ كتاب المنمق لابن حبيب البغدادى: ص 146؛ تاريخ اليعقوبى: ج 2، ص13؛ بلاغات النساء لابن طيفور: ص 47؛ السيرة الحلبية: ج 1، ص 182.

جيم – «وقال عبدالمطلب لأم أيمن – وكانت تحضنه –: يا بركة لا تغفلى عن ابنى فإنى وجدته مع غلمان قريباً من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابنى نبى هذه الأمة»(1).

دال – «وكان عبدالمطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول: «علىّ بابنى فيؤتى به إليه، فلما حضرته الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحياطته»(2).

خامساً: الآيات التى ظهرت منه صلى الله عليه وآله وسلم حينما كان فى كفالة عمه أبى طالب عليه السلام كان أبو طالب يحب النبى صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً لا يحبه ولده، «وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج، فيخرج معه؛ وصب به أبو طالب صبابة لم يصب مثلها بشىء قط»(3).

أما الآيات التى ظهرت منه صلى الله عليه وآله وسلم لعمه فهى كالآتى:

أ – «كان إذا أكل عيال أبى طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن

1- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 1، ص 118؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 3، ص 85؛ عيون الأثر لابن سيد الناس: ج 1، ص 56.

2- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 1، ص 118؛ السيرة النبوية لابن كثير: ج 1، ص 241؛ البحار: ج 15، ص 402.

3- البداية والنهاية لابن كثير: ج 2، ص 244؛ تاريخ مدينة دمشق: ج 3، ص 86.

یغدیهم، قال: کما أنتم حتی یأتی ولدی.

فیأتی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فیأکل معهم فکانوا یفضلون من طعامهم، وان لم یکن منهم لم یشبعوا، فیقول أبو طالب: إنک لمبارک»(1).

ب - «کان بنو أبی طالب یصبحون رمصا(2) عمصا(3) ویصبح رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کحیلاً دهیناً»(4).

1- الطبقات الکبری: ج 1، ص 120؛ البحار للمجلسی: ج 15، ص 407؛ السیرة النبویة لابن کثیر: ج 1، ص 242.

2- الرمص بالتحریک: وسخ یجتمع فی الموق، فإن سال فهو غمص، وإن جمد فهو رمص. وقد رمصت عینه بالکسر والرجل أرمص. «الصحاح للجوهری: ج 3، ص 1042. معجم مقاییس اللغة لابن فارس: ج 2، ص 439».

3- العمص ضرب من الطعام، وعمصه: صنعه، وهی کلمة علی أفواه العامة ولیست بدویة یریدون بها الخامیز، وهو: ان یشرح اللحم رقیقاً ویؤکل غیر مطبوخ ولا مشوی. «لسان العرب لابن منظور: ج 7، ص 58». وقال الزبیدی: «أهمله الجوهری؛ وقال ابن الاعرابی: هو المولع بأکل الحامض.هکذا نص العباب، وفی التکملة: بأکل العامص. وهو نص ابن الاعرابی. قال: وهو الهلام. وقال ابن عباد: یوم عماص کعماس، بالسین، أی شدید. وقال ابن درید: العمص ذکره الخلیل فزعم أنه «ضرب من الطعام» ولا أقف علی حقیقته. «انتهی قوله». أقول: الظاهر أنه من الحالات المرضیة التی تصیب العین لترادفه مع الرمص، أی: أن جفون العین تصبح کأنها شرائح من اللحم الحمراء الرقیقة عند الصباح. بمعنی آخر: ان أولاد أبی طالب یصبحون وعیونهم قد تجمع من حولها وسخ العین وبدت جفونهم حمراء کأنها شرائح لحم، بینما یصبح رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کحیل العین.

4- الشفا بتعریف حقوق المصطفی، القاضی عیاض: ج 1، ص 367؛ عیون الأثر، ابن سید الناس: ج 1، ص 61؛ الطبقات الکبری: ج 1، ص 120.

ج – كان أبو طالب يقرب إلى الصبيان صفحتهم – التى يأكلون فيها – أول البكرة – أى الصباح الباكر – فيجلسون وينتهبون ويكف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده فلا ينتهب معهم. فلما رأى ذلک عمه عزل له طعامه على حدة»(1).

د – قال ابن إسحاق: «إنّ رجلاً من بنى لهب كان عائفاً(2) فكان إذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم – أى فى صبيانهم وغلمانهم –.

قال: فأتى أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو غلام مع من يأتيه، قال: فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم شغله عنه شىء. فلما فرغ قال: الغلام، على به. فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه، فجعل يقول: ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيته آنفا فوالله ليكونن له شأن. قال: وانطلق به أبو طالب»(3).

هـ – ظهور الآيات منه حين خروجه مع عمه إلى الشام.

روى المؤرخون ان الركب الذى كان فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما نزلوا عند صومعة الراهب بحيرى صنع لهم طعاماً كثيراً، وكان قد رآى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الركب حتى أقبل وغمامة تظلله

1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 3، ص 84؛ السيرة الحلبية: ج 1، ص 189؛ السيرة النبوية لابن كثير: ج 1، ص 242.
2- العيافة: هى ان يكون الرجل صادق الحدس.
3- السيرة النبوية لابن هشام: ج 1، ص 116؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج 2، ص 345.

من بين القوم.

ثم أقبلوا فنزلوا فی ظل شـجرة قريباً منه، فنظر إلی الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة علی رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم حتی استظل تحتها»(1).

فمـا كان منه إلاّ أن يحـذر عمه أبا طالب من اليهود، قائلاً: احـذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنّه شـرا، فانه كائن لابن أخيک هذا شأن عظيم فاسرع به إلی بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتی أقدمه مكة»(2).

ناهيک عن أبيات أبی طالب المشهورة فی بيان الاستسقاء بوجه النبی الأكرم صلی الله عليه وآله وسلم حيث يقول عليه السلام:

كذبتم وبيت الله نبزی محمدا

***

ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلّمه حتی نصرع حوله

***

ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وما ترک قوم لا أبا لک سيدا

***

يحوط الذحار بين بكر بن وائل

وأبيض يستسقی الغمام بوجهه

***

ثمال اليتامی عصمة للأرامل

1- تاريخ الطبری: ج 2، ص 32؛ سيرة ابن إسحاق: ج 2، ص 54؛ أعلام الوری للطبرسی: ج 1، ص 65؛ عيون الأثر، ابن سيد الناس: ج 1، ص 62.

2- تاريخ دمشق لابن عساكر: ج 3، ص 12؛ البداية والنهاية: ج 2، ص 346؛ الكامل فی التاريخ لابن الأثير: ج 2، ص 37؛ السيرة النبوية

لابن هشام: ج 1، ص 118.

يلوذ به الهلاک من آل هاشم

***

فهم عنده فی نعمة وفواضل(1)

وتمر الأيام سـريعاً فيأتی المسـلمون إلی رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم يشكون إليه ما أصابهم من قحطٍ وجدب بسبب حبس السماء لخيرهـا ويطلبون منه ان يسـتقی لهم، فلمـا دعـا الله أن ينزل عليهم الغيث انهمرت السـماء بـالمطر كأنها أفواه القرب، فقـدم أهل الأسافل يصيحون: الغرق، الغرق، فضحک النبی صلی الله عليه وآله وسلم حتی بدت نواجذه، ثم قال:

«لله أبو طالب لو كان حاضرا لقرت عيناه، أما منكم أحد ينشدنی شعره»؟.

فقام علی بن أبی طالب – عليه السلام – فقال:

«لعلک تريد يا رسول الله قوله:

وأبيض يستسقی الغمام بوجهه

***

ثمال اليتامی عصمة للأرامل»(2)

و – يقينه عليه السلام بأن محمداً هو المصطفی بالفضائل والمحاسن قبل مبعثه.

فيقول:

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمفخرٍ

***

فعبد مناف سرها وصميمها

فان حصلت أشراف عبد منافها

***

ففی هاشم أشرافها وقديمها

وان فخرت يوما فإن محمداً

***

هو المصطفی من سرها وکریمها

ص: 47

1- الأمالی للشیخ المفید: ص 304؛ فتح الباری فی شرح صحیح البخاری: ج 2، ص 41؛ التمهید لابن عبدالبر: ج 9، ص 289.

2- التمهید لابن عبدالبر: ج 22، ص 65؛ امتاع الأسماع للمقریزی: ج 5، ص 125؛ بدائع الصانع لأبی بکر الکاشانی: ج 1، ص 283.

تداعت قريش غثها(1) وسمينها

***

علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

وكنا قديما لا نقر ظلامة

***

إذا ما شنوا صعر الخدود نقيمها

ونحمى جماها كل يوم كريهة

***

ونضرب عن أحجارها من يرومها

بنا انتعش العود الغواء وإنما

***

بأكنافنا تندى وتنمى أرومها(2)(3)

فكل هذه القرائن والدلائل، – بل هى معاجز وآيات – كانت ترافق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حله وترحاله، وهى ظاهرة، بينة، عند أبى طالب عليه السلام وهو مؤمن إيماناً قاطعاً بأنه نبى هذه الأمة، ولقد كان يصرح فيما بعد بذلک قائلاً:

ألم تعلموا أنا وجدنا

***

محمداً نبياً كموسى خط فى أول الكتب(4)

إلا أنه لا يعلم الوقت الذى سيبعث فيه، فلما جاء ورأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وولده علياً يصلون ابتدأ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالسؤال قائلاً: «ما هذا الذى أظهرته»؟.

ولذلک أجابه النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

«هذا دين الله الذى ارتضاه لنفسه، لا يقبل الله من أنبيائه ورسله غيره».

1- الغث: اللحم الضعيف، هنا استعارة لضعف النسب.

2- الأروم: الأصول، جمع الأرومة.

3- البداية والنهاية لابن كثير: ج 2، ص 317.

4- الكافى للكلينى رحمه الله: ج 1، ص 449؛ سيرة ابن إسحاق: ج 2، ص 138؛ السيرة النبوية، ابن هشام الحميرى: ج 1، ص 235.

وهنا، فی قول رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم تظهر عدة أمور منها:

1 - إنّ هـذا الـدین الـذی ظهر هو دین الله عز وجـل، وأنه یمتـاز علی بقیـة الأدیـان والرسالات السابقـة التی أنزلها الله علی أنبیائه ورسـله بمیزتین:

المیزة الأولی هی «أن الله عز وجل ارتضاه لنفسه» وهو ما نص علیه القرآن الکریم بقوله تعالی:

(إِنَّ الدِّینَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (1).

المیزة الثانیـة هی أنّ هذا الدین، دین الأنبیاء والرسل علیهم السـلام أجمعین وأنّ الله تعالی لا یقبل منهم أن یدینوا بدین غیره، وهو ما یشـیر إلیه قوله تعالی:

(وَمَنْ یَبْتَغِ غَیْرَ الْإِسْلَامِ دِینًا فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْهُ) (2).

2 - إنّ جمیع الأدیان السابقة کانت ممهدة لهذا الدین.

3 - إنّ جمیع الأنبیاء والمرسـلین یأتون یوم القیامة والحبیب المصـطفی صـلی الله علیه وآله وسلم شهید علیهم وعلی ما بلغوا به أقوامهم، قال سبحانه:

(فَکَیْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ کُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِیدٍ وَجِئْنَا بِکَ عَلَی هَؤُلَاءِ شَهِیدًا) (3).

المسألة الثالثة: «عرض الدخول فی هذا الدین»

1- سورة آل عمران، الآیة: 19.

2- سورة آل عمران، الآیة: 85.

3- سورة النساء، الآیة: 41.

بعد أن أجاب النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم علی سؤال أبی طالب علیه السلام مبیناً له منزلة هذا الدین الذی جاء به، عرض علیه أن ینظم إلی هذا الرکب ویدین بهذا الدین الذی ارتضاه الله لنفسه ولأنبیائه بقوله صلی الله علیه وآله وسلم: «فإن دخلت معی فیه»؟.

هذا العرض لم یکن عرضاً عادیاً بل هو عرض من نوعٍ خاص یکشف عن عظم شخصـیة أبی طالب عند نبی الله صـلی الله علیه وآله وسلم. فلـذلک نجـد أنّ النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم قد قدّم مقدمة قبل أن یعرض علی عمه هذا العرض، وهذه المقدمة هی: التعریف بمنزلة هذا الدین عند الله عز وجل.

وعلیه، فان الأنبیاء والمرسـلین علیهم السـلام کانوا یقومون بمسؤولیـة التبلیغ لهـذا الدین، وانهم کانوا یعملون علی نصـرة النبی وشـریعته؛ والشواهد القرآنیة فی ذلک کثیرة منها:

1 . (وَمَنْ یَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِیمَ إِلَّا مَنْ سَـفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَـدِ اصْـطَفَیْنَاهُ فِی الدُّنْیَا وَإِنَّهُ فِی الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِینَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْـلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِینَ) (1).

2 . (وَوَصَّی بِهَا إِبْرَاهِیمُ بَنِیهِ وَیَعْقُوبُ یَا بَنِیَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَی لَکُمُ الدِّینَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (2).

1- سورة البقرة، الآیتان: 130 و131.

2- سورة البقرة، الآیة: 132.

3 . (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (1).

ومن هنا جاء عرض النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأبى طالب عليه السلام يحمل معه هذه المقدمة التعريفية بمنزلة هذا الدين وأنّ لک منزلة خاصة إنْ سلكت منهج أولئک الأنبياء عليهم السلام فى نصرة هذا الدين. وإلا كان يمكن أن يقول له «هذا دين الله» دون الإشارة إلى دور الأنبياء منه وعلاقتهم به.

ولذا نجد ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم اتبعها بكلمة «معى» ليبين المنزلة التى سينالها أبو طالب عليه السلام عند دخوله هذا الدين.

المسألة الرابعة: «ما المراد بالكتمان الذى طلبه النبى صلى الله عليه وآله وسلم من أبى طالب عليه السلام»؟

بعد أن قدّم النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم العرض على أبى طالب بالدخول معه فى قيام هذا الدين وخيّره بين القبول بهذا العرض أو الرفض انطلاقاً من الحرية العقائدية التى يسنها الإسلام، طلب منه أن يكتم.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«وإلاّ فاكتم على» فعلى أى شىء يكتم؟!.

والجواب على هذا التساؤل يكون من ثلاثة أوجه:

1- سورة البقرة، الآية: 133.

الوجه الأول: «التكتم على العرض» أى: فاكتم على العرض الذى عرضته عليک، وإننى قد خصصتک بمنزلة لم أخص بها أحداً من المسلمين، وهو قوله:

«فان دخلت معى فيه، وإلاّ فاكتم على».

أى: إذا لم تقبل به فاكتم علىّ ما قلته لک وعرضته عليک.

ومما يدل عليه:

انتهاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفس هذا النهج حينما كان يعرض أمره على الناس، فكما هو واضح لمن تتبع سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ انه لما ذهب إلى ثقيف وعرض عليهم الدخول إلى الإسلام، ولم يقبلوا منه، طلب منهم أن يكتموا أمر مقدمه عليهم كى لا يشمت به مشركو قريش وغيرهم.

قال الحافظ البغوى، وابن الأثير، والطبرسى: «لما اشتد عليه الأمر بعد موت أبى طالب - عليه السلام - خرج ومعه زيد بن حارثة إلى ثقيف يلتمس منهم النصر، فلما انتهى إليهم عمد إلى ثلاثة نفر منهم، وهم يومئذ سادة ثقيف وهم أخوة ثلاثة، عبد ياليل، وحبيب، ومسعود، بنو عمرو بن عمير(1)، وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جمح؛ فجلس إليهم، فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرتهم للإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه. فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلک.

وقال الآخر: ما وجد الله أحداً يرسله غيرک. وقال الثالث: والله ما أكلمک

1- إعلام الورى للطبرسى: ص 71، ط دار الحجة.

كلمـة أبـداً، لأـن كنت رسولاً ـ من الله كمـا تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليک الكلام؛ ولأن كنت تكـذب على الله فما ينبغى لى أن أكلمک.

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف؛ وقال لهم:

«إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموه علىّ».

وكره رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم أن يبلغ قومه فيذئلهم عليه ذلک، فلم يفعلوا وأغروا به سـفهاءهم وعبيدهم يسـبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس»(1).

«قال موسى بن عقبة: قعدوا له صفين على طريقه فلما مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين صفيهم جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضـخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه، وكان صـلى الله عليه وآله وسـلم إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فإذا مشى رجموه وهم يضحكون»(2).

حتى ألجأوه إلى بستان لعتبة وشيبة فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - رفع يديه يدعو ربه - فقال:

«اللهم إنى أشـكو إليک ضـعف قوتى، وقلـة حيلتى، وهوانى على الناس، أنت أرحم الراحمين، أنت رب المستضـعفين، وأنت ربى إلى من تكلنى، إلى بعيد يتجهّمنى، أم إلى عدو ملكته أمرى، إن لم يكن بک على غضب

1- تفسير البغوى: ج 4، ص 172. تاريخ الطبرى: ج 2، ص 80. البداية والنهاية لابن كثير: ج3، ص 166.
2- تفسير مجمع البيان للطبرسى: ج 9، ص 154. السيرة النبوية لابن كثير: ج 2، ص 151. تاريخ الإسلام للذهبى: ج 1، ص 283.

فلا أبالی، ولکن عافیتک هی أوسع لی، أعوذ بنور وجهک الذی أشرقت له الظلمات، وصلح علیه أمر الدنیا والآخرة، من أن ینزل بی غضبک أو یحل علی سخطک، لک العتبی حتی ترضی، ولا حول ولا قوة إلا بک»(1).

وعلیه: کان النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم یطلب من البعض أن یکتموا علیه العرض الذی یعرضه علیهم لاسیما إذا کان هذا العرض یتعلق بأمر نصرته وعونه والدفاع عنه کما دلت علیه الحادثة، التی ملئت بالألم والأسی لما أصاب رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من الأذی حتی الإدماء.

ولذا: فقد طلب رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من عمه أن یکتم علی العرض الذی عرضه علیه فیما لو دخل إلی هذا الدین وقام بنصرة سید المرسلین صلی الله علیه وآله وسلم.

الوجه الثانی: أن یکون المراد من «فاکتم علیّ» هو «فاکتم علیه» أی: ان تکتم علی دینک فلا تظهره لأحد، فیکون الأصل فی «علیّ» هو «علیه» فحذفت الهاء تحریفاً إما بقصد من الناسخ أو الراوی لأنه وجدها لا تتطابق مع البخاری فی حدیث الضحضاح فکتبها «علیّ».

واما إن التصرف فی الکلمة کان من قبل الحافظ أبی سعید الخرکوشی لأنه وجدها خلاف المشهور الذی یصف الدعوة بأنها کانت سریة فی بدایة انطلاقها،

1- تفسیر البغوی: ج 4، ص 172. شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج 14، ص 97. تفسیر الثعلبی: ج 9، ص 19. تاریخ الإسلام للذهبی: ج 1، ص 283. تفسیر القرطبی: ج 16، ص 211. تفسیر ابن کثیر: ج 4، ص 176.

فجعلها مع ما هو مشهور.

وعلى الرغم من اننى لم أعثر على نسخة ثانية لمخطوط شرف المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، أو أن أجد هذه الرواية فى مصدر آخر. إلاّ أن السياق العام الذى احتوته الروايات التى تحدثت عن السيرة النبوية وما اشتهر عن كونها كانت سرية لترجح ان قوله: «فاكتم علىّ» هى فى الأصل: «فاكتم عليه». فحرفت أو صحفت الكلمة كى تتطابق مع ما رواه البخارى لحديث الضحضاح.

ومما يدل عليه: إنّ كثيراً من المخطوطات قد تعرضت لوقوع التحريف والتصحيف؛ والتصحيف هو: «صحف الكلمة: كتبها أو قرأها على غير صحتها لاشتباه فى الحروف»(1).

وقيل: ان الكلمة المصحّفة، هى: الكلمة الموضوعة خطأ نتيجة لإهمال الناسخ أو الطابع أو جهل كل منهما وغالباً - أو عند الأكثر - لا يفرق بين التصحيف والتحريف من حيث المعنى فكل خطأ فى كتابة أو قراءة الكلمة هو تصحيف ويقال له أيضاً تحريف»(2).

ومن الذين لا يفرقون بين التصحيف والتحريف المتنبى حيث يقول:

جرى الخلف إلا فيک أنک واحد

***

وانک ليث والملوک ذئاب

وأنک إن قويست صحّف قارئ

***

ذئاباً ولم يخطئ فقال ذباب(3)

1- القاموس المحيط: مادة صحف.

2- أصول تحقيق التراث لعبد الهادى الفضلى: ص 179 - 180.

3- أصول تحقيق التراث لعبد الهادى الفضلى: ص 191.

ولذا، فان اشد ما يجابه الباحث هو «تشويهات الناسخين وتحريفاتهم مما قد يخلق مشكلات ليست باليسيرة»(1).

ومن الشواهد على حصول التحريف فى بعض المخطوطات:

أولاً: كتاب الناسخ والمنسوخ للعتائقى، تحقيق عبدالهادى الفضلى؛ حيث يقول: «والنسخة بخط المؤلف، ويبدو عليها انها كتبت على عجل لكثرة ما فيها من إهمال الإعجام.

- النص -: «فقد روى عن أمير المؤمنين (على) عليه السلام: إنه دخل مسجد الكوفة فرأى ابن دأب صاحب أبى موسى الأشعرى وقد تحلق الناس عليه يسألونه فقال له:

أتعرف الناسخ من المنسوخ؟.

قال: لا. قال:

هلكت وأهلكت.

وأخذ أذنه فقبلها، وقال:

لا تقضِ فى مسجدنا بعد».

التصويب:

«فقبلها»، هكذا فى الأصل وهو تصحيف، وصوابه «ففتلها» والتعليل: لأنها وردت فى كتب أخرى مماثلة بالفاء والتاء ولأن جو الموقف وسياق التعبير يقتضيان ذلك.

1- مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام لعبد العزيز الدورى: ص 27.

«لا تقض»، هكذا فى الأصل وهو تصحيف، وصوابه «لا تقص» بالصاد المهملة أو «لا تقصن» بالصاد والنون.

التعليل:

لأـن ابن دأب عُرِفَ تاريخياً بأنه من قالت الحكايات والأساطير، ولم يرد له ذكر فى تراجم القضاة، ولورود الكلمـة بالصاد فى مصادر أخرى، كما أن جو الموقف وسياق التعبير يقتضيان ذلك(1).

ثانيـاً: لم يقتصـر وقوع التحريف فى المخطوط وإنمـا فى المطبوع أيضـاً، ففى طبعـة لكتـاب مروج الـذهب للمسـعودى فى كون المنصور العباسى: «أنه أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وصرفهم فى مهماته وقدمهم على العرب، وزال بأسها وذهبت مراتبها»(2).

بينما يرد القسم الأخير من هذا النص فى الطبعة الأوربية: «سقطت قيادات العرب وزالت رياستها وذهبت مراتبها».

فالنص الأول يبيد العرب ويذكر سـقوطها وزوال بأسـها، فى حين أن النص الثانى يشـير إلى ذهاب القيادة والرئاسة منها، والفرق شاسع بين الاثنين(3).

ولـذلك: فـان من المرجـح أن تكون عبـارة «فـاكتم على» هى فى الأصل: «فاكتم عليه» لأن جو الحـدث وسـياق الروايـة يـدفع إلى هـذا الاحتمال.

1- «أصول التحقيق التراث لعبد الهادى الفضلى: ص 194 - 195».

2- وجاء فى هامش الصـفحة مروج الـذهب لأبى الحسن على بن الحسـين المسـعودى، بتحقيق محمـد محى الـدين عبـد الحميد: ط 3 (القاهرة: مطبعة السعادة 1958م) ج 2، ص 204.

3- المصدر السابق.

الوجه الثالث: «التكتم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم» وهذا ما اشتهر عن سير البعثة النبوية إذ أنها كانت فى بداية انطلاقها مخفية غير معلنة وأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو إلى هذا الدين سراً بضع سنين.

فيكون المعنى لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فإن دخلت معى فيه وإلا فاكتم علىّ». أى: فإن لم تدخل فى هذا الدين ولم تأخذ بالعرض الذى عرضته عليك، فاكتم علىّ أمرى ولا تخبر به أحداً. وأما أصح الوجوه فهو الوجه الأول، أى: التكتم على العرض، وذلك من خلال المبحث الآتى.

ص: 58

المبحث الثالث: سرية الدعوة النبوية بين حقيقة الحدث ووهم الرواة

اشارة

ص: 59

إنّ الحديث عن مراحل الدعوة إلى الإسلام، أى: منذ البعثة والى وفاة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، هو حديث صعب شائک وذلک لما وضعته أيدى المنافقين من تغيير لكثير من الصور عن حقيقتها وواقعها، فكانت الأحداث فيها تصاغ كواقع للحقيقة؛ فى حين أنّ حقيقة الحدث تختلف جذرياً عما صوره دعاة السياسة وأرباب المصالح.

ومن بين هذه الأحداث هو: «سرية الدعوة النبوية» خلال السنوات الأولى لانطلاقها.

فالصورة التى تناقلتها ألسُن الرواة ودونتها أقلام الكُتّاب هى: «أن الدعوة إلى الإسلام كانت سرية لمدة ثلاث سنوات، أو كما يسميها البعض ب_«الدعوة سراً»(1)، وأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يخفى هذه الدعوة، وان الذين استجابوا لهذه الدعوة كانوا يتسترون ويخفون إسلامهم ويتخذون من شعاب مكة محلاً لتعبدهم وملاذاً لمتنفسهم الإيمانى.

1- فقه السيرة للبوطى: ص 105، ط دار الفكر.

ومن جهة أخرى كان النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم قد اتخذ أحد الدور مقراً لهذه الحركة الجديدة فى مكة، هذا المقر هو «دار الأرقم بن أبى الأـرقم» الـذى من خلاله كان النبى الأكرم صـلى الله عليه وآله وسـلم يلتقى بالمسـلمين ويرى احتياجاتهم ويوجههم، وكان ينتظر أن يكتمل له عدد معين وهو أربعون مسلماً(1) ليعلن دعوته. فلما تحقق العدد فى هذه المدة من السنين أعلن النبى صلى الله عليه وآله وسلم الدعوة إلى الإسلام بعد أن هبط عليه الوحى بقوله تعالى:

(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) (2).

فانطلق النبى صلى الله عليه وآله وسلم يعلن عن أمر النبوة ويدعو إلى التوحيد مبتدِئاً بعشيرته الأقربين امتثالاً لأمر رب العالمين.

والنتيجـة: يجـد الباحث صورةً متكاملة الحلقات أشـبه ما تكون بتنظيم حركى سياسـى يحمل آيدلوجية معينة على أنه واقع لحقيقة اسـمها: «سرية الدعوة».

بينما حقيقة الحدث تختلف جذرياً عن الصورة التى رسمتها أيدٍ مبرمجة حسب أغراض ومصالح مختلفة.

فالنبى المصـطفى صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن خلال السنوات الثلاث الأولى من البعثة يسير بشكل سرى حسب الاصطلاح الحركى السياسى، ولم يكن هناك

1- كشف الخفـاء للعجلونى: ج 1، ص 184؛ وجاء فيه: «أسـلم عمر بعد أن دخل رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم دار الأرقم وبعد أربعين أو نيف وأربعين بين رجال ونساء».
2- سورة الحجر، الآية: 95.

مقراً لهـذا التنظيم، وان ما يـدعى بـدار الأرقم هو من نسـج خيال أصـحاب المصالـح والأغراض التعصبيـة، كان القصد منها الحصول على أهداف معينة وهى كالآتى:

الهدف الأول: الترويج الإعلامى لبعض الأسماء فى أسبقية الدخول إلى الإسلام

إدخال أسـماء كثيرة فى لائحة الدعوة الأولى إلى الإسلام أى «الدعوة السرية» والتى سعى بها النبى صلى الله عليه وآله وسلم مما يؤدى إلى فقدان الخصوصية الخاصة لهؤلاء الثلاثة الذين اقتصر عليهم انتقاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة إلى الإيمان به.

الهدف الثانى: إلصاق كثير من الأدوار لبعض الرموز

تسجيل موقف لبعض الشخصيات الإسلامية وعلى رأسها أبو بكر الذى ينسب له دوران أساسان خلال هذه الفترة السرية، وهما:

1 – انه جاء بأبرز رجالات الصحابة، وهم الستة أصحاب الشورى الذين نصبهم عمر بن الخطاب قبل موته فقد كان أبو بكر هو الذى جلبهم إلى الإسلام.

2 – إنّ أبا بكر هو الرجل الوحيد الذى أعلن إسـلامه بين الذين أسـلموا خلال «سـرية الدعوة» – وهم أربعون نفراً –، بينما جميع هؤلاء بما فيهم النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم كـانوا يتسترون ويخفون إسـلامهم(1). ولاـ اعلم لماذا شـذ أبو بكر عن هـذا الركب الصالـح وأظهر إسلامه؟!.

ولا أعلم لماذا يعصى أبو بكر أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون جميع هؤلاء الذين أسلموا ويعلن إسلامه فضلاً عن أن الالتزام بأمر رسول الله صلى

1– تاريخ الإسلام للذهبى، قسم السيرة النبوية: ص 136.

الله عليه وآله وسلم فى هذه الفترة الحرجة مهم جداً لأن سلامة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونجاته وكذلک جميع المؤمنين كانت تتوقف على سرية الانتساب والدخول فى هذا الدين؟! ولأجل هذا الغرض كانت هذه الفترة تسمى بالسرية اما أن يخالف أبو بكر هذا كله ويقوم بإعلان إسلامه فهو أمر مجهول لا يعلمه إلا الذين نسبوا هذا العيب الشنيع لأبى بكر، فهم الوحيدون الذين يعلمون لماذا أظهر إسلامه.

الهدف الثالث: التعتيم على أبى طالب وأم المؤمنين خديجة والإمام على عليهم السلام

إعطاء حصة كبيرة من الأدوار المهمة لبعض الشخصيات التى دخلت إلى الإسلام خلال «سرية الدعوة» لأجل التعتيم على دور أبى طالب وخديجة والإمام على عليهم السلام.

الهدف الرابع: التقليل من شأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم

وصف النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بأنه كان يسير خلال هذه السنوات الثلاث بشكل مضطرب يتملّكه الخوف والحذر يلتمس شعاب مكة وجبالها لكى يتعبد فلا يشعر به أحد من المشركين.

بينما يوصف أبو بكر بأنه الوحيد الذى لا يخشى أحداً فلذا كان يجهر بإسلامه ويعلن ذلک أمام قريش؟! فى حين كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومعه على بن أبى طالب يتخفيان فى شعاب مكة وجبالها، كما يقول الذهبى الذى بيّن العلة فى ذلک، وهى: «ان أبا بكر أول من أظهر الإسلام وان علياً كان يكتم الإسلام فرقاً من أبيه»(1).

1- تاريخ الإسلام للذهبى، قسم السيرة النبوية: ص 136.

وهو تعليل لا يستساغ ويكشف عن التعصب الأعمى الذى لا يستند إلى حقيقة علمية مستمدة من الأدلة العقلية والنقلية.

إذ كيف يُعقل أنْ يحارب أبو طالب عليه السلام ولده فى حال إسلامه وهو الذى وقف بوجه قريش يذب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويؤازره ويسدده ويشد من عزمه.

الهدف الخامس: اتهام النبى صلى الله عليه وآله وسلم خلال هذه الفترة بالشك فى نفسه - والعياذ بالله -

اشارة

أن يكون أحد أهداف نظرية سرية الدعوة اتهام النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالشك فى نفسه (والعياذ بالله)، وهذا ما صوره أحد الكتاب المعاصرين فى وصفه حال النبى صلى الله عليه وآله وسلم خلال هذه الفترة ومظهراً للوجه الفقهى فى سرية الدعوة بانه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن مطمئناً من أنه نبى مرسل وانه كان فى دائرة الشك فلذا احتاج إلى ثلاث سنوات كى يقطع الشك فى نفسه ويطمئن ويوقن بأنه نبى وان ما يأتيه هو الوحى لأن هذا من مسؤولياته إذا نفسه أولاً.

وهذا نص قوله: «فأدنى درجة فى المسؤولية هى مسؤولية الشخص عن نفسه، ومن أجل إعطاء هذه الدرجة حقها استمرت فترة ابتداء الوحى تلك المدة الطويلة التى رأيناها، أى: ريثما يطمئن محمد إلى أنه نبى مرسل، وأن ما ينزل عليه انما هو وحى من الله عز وجل، فيؤمن هو بنفسه أولاً ويوطن ذاته لقبول كل ما سيتلقاه من مبادئ ونظم وأحكام»(1).

1- فقه السيرة لمحمد سعيد رمضان البوطى: ص 113، فصل الجهر بالدعوة، ط دار الفكر المعاصر (بيروت - دمشق) الطبعة العاشرة لسنة (1411 هـ - 1992 م).

ونحن نسأل هنا:

1 – إذا كان النبى صـلى الله عليه وآله وسلم غير مطمئن من انه نبى مرسل كما يدعى الكاتب، فكيف له أن يدعو غيره إلى هذا الدين خلال هذه الفترة التى وصـفها بقوله «الدعوة سـراً» وكيف سيدعو غيره إلى الإيمان وهو كما يقول الكاتب: «فيؤمن هو بنفسه أولاً ويوطن ذاته لقبول كل ما سيتلقاه»؟!.

2 – إذا كان النبى الأعظم صـلى الله عليه وآله وسـلم يسمع ويرى الوحى خلال مدة طويلة وهو كما تقول «غير مطمئن» فالذى آمن ولم ير ويسمع يكون حسب وصفك أعظم إيماناً – والعياذ بالله –.

بمعنى آخر: قد جعلت من آمن بالله خلال هذه الفترة التى سـميتها «بالدعوة سـراً» أصدق إيماناً وأثبت يقيناً لأنهم آمنوا ولم يروا ويسـمعوا الوحى كما هو حال النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

3 – وكيف يحصل الإيمان والاطمئنان للأجيال التى دخلت الإسـلام دون أن ترى نبى الإسـلام؟ فضـلاً عن الملائكة أو الوحى؟. فحسب هذا القائل قول الله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) (1).

وأى أذى لله ورسوله أعظم من جعل سيد الأنبياء والمرسلين شاكاً والعياذ بالله فى نبوته خلال مدة طويلة.

1– سورة الأحزاب، الآية: 57.

وعليه: فليس هناک ما يسمى «بالدعوة سراً» أو «الفترة السرية» للدعوة وإنما هى الفترة التمهيدية للدعوة العامة، أو الفترة الانتقائية والتى كانت محصورة بمكة وفى بعض الإفراد.

وبمعنى أدق: إنّ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان خلال السنين الأولى ينتقى من الناس من يجد فيه الأهلية لتحمل مسؤولية الدعوة والتبليغ فيدعوه إلى دين الإسلام فكانوا ثلاث أنفس وهم: «على بن أبى طالب فهو أول من اسلم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أولكم واردا على الحوض أولكم إسلاماً على بن أبى طالب»(1).

والنفس الثانية: هى الطاهرة خديجة بنت خويلد عليها السلام.

والنفس الثالثة: هو شيخ الأبطح، وحامى النبوة، وكافل الرسالة، أبو طالب عليه السلام.

ثم التحق بهم الصحابى المنتجب «أبو ذر الغفارى» الموصوف بأنه صاحب أصدق ذى لهجة»(2)، والظاهر أن التحاقه كان فى آخر السنة الثالثة من البعثة أو الرابعة من البعثة. فكان هؤلاء أول من شملهم اللطف الإلهى ضمن هذه الفترة التمهيدية.

1- المستدرک على الصحيحين للحاكم: ج3، ص 136؛ كتاب الأوائل للطبرانى: ص 66؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج 3، ص 109؛ التمهيد لابن عبد البر: ج 2، ص 305؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى: ج 4، ص 117؛ الإكمال فى أسماء الرجال للخطيب التبريزى: ص 127.

2- مسند احمد بن حنبل: ج 2، ص 163؛ سنن الترمذى: ج 5، ص 334؛ المصنف لابن أبى شيبة: ج 7، ص 526.

فإذن:

لم تكن هناك دعوة من النبى صلى الله عليه وآله وسلم خلال هذه السنوات الأولى لاعتناق الإسلام إلا لهؤلاء «على وخديجة وأبى طالب» عليهم السلام. وان جميع الذين دخلوا الإسلام انما كان دخولهم لهذا الدين بعد نزول الأمر الإلهى بالمضى فى إظهار النبوة والدعوة إلى الإيمان بها.

فقال عز وجل:

(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ)

فهذه حقيقة واقع الدعوة النبوية خلال السنوات الثلاث.

وبما ان هذا الواقع لم يتناسب إطلاقاً مع ما لحق بالمسلمين من متغيرات كثيرة رافقت حياتهم وواقعهم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم سياسياً ومذهبياً.

فان هذا الواقع الجديد دفع البعض إلى اختلاق نظرية «سرية الدعوة» لأجل تحقيق تلك الأهداف المذكورة آنفاً.

أما لماذا اقتصرت الدعوة من النبى صلى الله عليه وآله وسلم على هؤلاء الثلاثة؟!.

فالجواب هو للأسباب الآتية:

1 - إنّ النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يؤمر بدعوة عامة الناس خلال هذه السنوات الأولى حتى نزل قوله تعالى:

(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) (1).

1- سورة الحجر، الآية: 94.

اما قبل نزول هـذه الآيـة فكانت الـدعوة تمهيديـة وانتقائية من قبل النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم لبعض الأشـخاص فكانوا هؤلاء الثلاثة عليهم السلام.

2 – أن هذه الدعوة النبوية لهؤلاء كانت من محض علم النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذى:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) (1).

3 – لما سيترتب على هؤلاء الثلاثة من مهام عظيمة ومسؤوليات جسيمة فى تأسيس الإسلام وقيام صرحه الشامخ.

ولذا:

كان النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم ينتقى بعض الأشـخاص فيـدعوهم إلى هذا الدين وهم هؤلاء الأربعة؛ أى «على وخديجة وأبو طالب وأبو ذر»، وهو فى نفس الوقت كان خائفاً عليهم إلا أنه لم يكن متخفياً فى شـعاب مكـة وبين جبالها وإنما كان – بأبى وأمى – يتعبـد ويؤدى فرائضه أمام قريش؛ بل أمام كل من يأتى إلى مكة.

وإلا بأىّ وجه يمكن لنا أن نفسر وجود المستهزئين به وهو يتستر ويخفى دينه؟.

فهـذه حقيقـة واقع الدعوة خلال السـنوات الثلاث من بعثة النبى المصـطفى صـلى الله عليه وآله وسـلم ومما يدل على هذه الحقيقة، عدة مسائل:

1– سورة النجم، الآية: 3.

المسألة الأولى: معارضة بعض النصوص الصحيحة لهذه النظرية

روى الحافظ النسائی(1) صاحب السنن قائلاً: أخبرنی محمد بن محمد الکوفی قال: حدثنا سعید بن خثیم عن أسد بن عبدالله البجلی عن یحیی بن عفیف عن عفیف قال: جئت فی الجاهلیة إلی مکة، فنزلت علی العباس بن عبدالمطلب، فلما ارتفعت الشمس، وخلقت فی السماء، وأنا أنظر إلی الکعبة أقبل شاب فرمی ببصره إلی السماء ثم استقبل القبلة فقام مستقبلها، فلم یلبث حتی جاء غلام فقام من یمینه فلم یلبث حتی جاءت امرأة فقامت خلفهما فرکع الشاب فرکع الغلام والمرأة، فرفع الغلام والمرأة، فخر الشاب ساجداً، فسجدا معه.

فقلت یا عباس: أمرٌ عظیم؟!.

فقال: أتدری من هذا الشاب؟، فقلت: لا.

1- وهو الحافظ المحدث القاضی أبو عبد الرحمن أحمد بن شعیب بن علی بن سنان بن بحر بن دینار الخراسانی النسائی - والنسائی، نسبة إلی نسا بلدة بخراسان، ولد عام (215هـ) وکان قد تتلمذ عند عدد کبیر من شیوخ البخاری ومسلم وأبی داود والترمذی، وکان قد تتلمذ عنده جمع کثیر منهم: الدولابی، والطحاوی، والطبرانی، واتهم النسائی بالتشیع لروایته أحادیث فی فضائل علی علیه السلام. وقد ذکر محمد بن موسی المأمونی صاحب النسائی، قال: سمعت قوماً ینکرون علی أبی عبدالرحمن النسائی کتاب: الخصائص لعلی - علیه السلام -، وترکه تصنیف فضائل الشیخین، فذکرت له ذلک، فقال: دخلت دمشق والمنحرف بها عن علی کثیر، فصنفت کتاب الخصائص، رجوت أن یهدیهم الله تعالی. «سیر أعلام النبلاء للذهبی: ج 14، ص 125».

فقال: هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب – صلى الله عليه وآله وسلم –، هذا ابن أخى.

وقال: أتدرى من هذا الغلام؟.

فقلت: لا.

قال: هذا على بن أبى طالب بن عبدالمطلب، هذا ابن أخى، هل تدرى من هذه المرأة التى خلفهما؟. قلت: لا.

قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخى هذا، حدثنى ان ربک ربّ السموات والأرض أمره بهذا الدين الذى هو عليه.

لا والله ما على ظهر الأرض كلها أحدٌ على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة»(1).

ولهذا الحديث طريق آخر أخرجه ابن إسحاق، وإمام الحنابلة أحمد بن حنبل والحاكم، وغيرهم، وهو:

محمد بن اسحق، عن يحيى بن أبى الأشعث، عن إسماعيل بن إياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف بن عمرو، قال: كنت امرأً تاجراً وكنت صديقاً للعباس بن عبدالمطلب فى الجاهلية فقدمت لتجارةٍ فنزلت على العباس بن عبدالمطلب بمنى فجاء رجل فنظر إلى الشمس حين مالت فقام يصلى ثم جاءت امرأة فقامت تصلى ثم جاء غلام حين راهق الحلم فقام يصلى، فقلت للعباس: من هذا؟.

1- النسائى فى خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب – عليه السلام –: ص 23 برقم 6؛ وابن سعد فى طبقاته: ج 8، ص 17؛ وأبو يعلى الموصلى فى المسند: ج 3، ص117.

فقال: هـذا محمـد بن عبـدالله بن عبدالمطلب ابن أخی یزعم أنه نبی ولم یتابعه علی أمره غیر هذه المرأة وهذا الغلام، وهذه المرأة: خدیجة بنت خویلد امرأته، وهذا الغلام ابن عمه علی بن أبی طالب علیه السلام.

قال عفیف الکندی وأسلم وأحسن إسلامه: «لوددت أنی کنت أسلمت یومئذ فیکون لی ربع الإسلام»(1).

قال الحاکم النیسابوری: «هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه» أی: البخاری ومسلم.

وأما دلائل الحدیث فهی الآتی:

1 - انّ الحدیث یدل علی أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم لم یکن متخفیاً یلتمس شعاب مکة لکی یصلی فیها کما یزعمون.

بل ان النبی الأکرم صـلی الله علیه وآله وسـلم کان یأتی إلی الکعبة فیقف أمامها لیؤدی صـلاته أمام مرأی ومسمع من قریش، بل وأمام کل من یقدم إلی مکة کما حدث لعفیف الکندی.

1- السیر والمغازی لابن إسحاق: ص 137 - 138، فصل «إسلام علی بن أبی طالب - علیه السلام». وأخرجه البخاری فی التاریخ الکبیر: ج 7، ص 74، ص 75 برقم 341؛ واحمد بن حنبل فی المسـند: ج 1، ص 209؛ والحاکم فی المستدرک: ج 3، ص183؛ وأقره الذهبی فی تلخیصه، والبیهقی فی الدلائل: ج 1، ص 415؛ والهیثمی فی الزوائد: ج 9، ص 126 برقم (14605)؛ وابن سید الناس فی عیون الأثر: ج 1، ص 93؛ والحافظ الطبرانی فی المعجم الکبیر: ج 18، ص 100 - 101، برقم (181).

2 – إنّ هذا الوصف الدقيق من عفيف الكندى يدل على أن قريشاً لم تكن تتعرض للنبى صلى الله عليه وآله وسلم خلال هذه المدّة.

3 – إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يؤدى الصلاة إماماً وكان له مأمومان، والغاية من ذلک هى إعلام جميع أهل مكة ومن يرد عليها من التجار.

4 – إنّ ما يدعيه البعض من تعبد من أسلم خلال هذه المدة فى شعاب(1) مكة هو غير صحيح.

لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن يدع هؤلاء يعانون من الخوف والاضطهاد العقائدى بينما هو وزوجته وابن عمه يقيمون عباداتهم ويؤدون صلاتهم مطمئنين بدون جهد ولا مشقة ولا خوف قرب الكعبة.

5. لو صح وجود أفرادٍ قد آمنوا بدعوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم خلال «الفترة السرية» كما يزعمون فما الذى منعهم من أداء الصلاة بإمامة النبى صلى الله عليه وآله وسلم؟ لماذا تكون الصلاة منحصرة باثنين؟!.

إذ لا يصح أن يكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم يفرق بين الذين آمنوا به فيأمر اثنين بملازمته ويمنع البقية عن ذلک؟ كما لا يصح إن يقال أن بقية الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم غير راغبين بتأدية الصلاة معه.

6 – إن فرضية الخوف من مشركى مكة خلال هذه المدّة لا تصح؛ لأن هذا الأمر حدث بعد الدعوة العامة إلى أهل مكة، أما خلال هذه المدّة فلم يكن غير

1– تاريخ الطبرى: ج 2، ص 62؛ وسيرة ابن هشام: ج 1، ص 282؛ البداية والنهاية: ج 3، ص37.

على وخديجة عليهم السلام.

كما نص عليه قول العباس عم النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعفيف الكندى: «ولم يتابعه على أمره غير هذه المرأة وهذا الغلام».

7 – إدعاء البعض أن أبا بكر هو أول من أسلم أو ثانى من أسلم، إدعاء لا يقوم على أساس من الصحة:

إذ لو كان حقاً انه أسلم خلال هذه الفترة السرية لجاء إلى أداء الصلاة خلف النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما فعل على بن أبى طالب وخديجة بنت خويلد عليها السلام.

فعدم ظهوره معهم فيه ثلاثة أوجه:

أ . إما أنه أسلم ولكن كان يخفى إسلامه خوفاً من قريش، وهذا الأمر يتعارض مع ما اعتقده البعض من أنه الوحيد الذى أعلن إسلامه(1).

ب . وأما أنه أسلم ولكن لم يكن يتّبع النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن يقيم الصلاة معه، ولم يكن أحد من مكة ولا من زوارها قد رآه يتعبد بالإسلام وبخاصةٍ أنه الوحيد الذى أعلن إسلامه وهذا تعارض أيضاً.

ج . إما انه لم يسلم إلا بعد الإعلان عن الدعوة أى بعد مضى مدّة ثلاث سنوات أو أكثر وهو الصحيح.

ومما يدل عليه:

1- الإصابة لابن حجر العسقلانى: ج 7، ص 52؛ الثقات لابن حبان: ج 1، ص 52؛ تاريخ الطبرى: ج 2، ص 60؛ عيون الأثر لابن سيد الناس: ج 1، ص 126.

هو ورود أدلة كثيرة تنص على أن أبا بكر لم يسلم إلا بعد الإعلان العام عن النبوة. أى: بعد سنين عدة من بعث النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، منها:

1 – ما رواه الطبرى عن محمد بن سعيد، قال: قلت لأبى: «أكان أبو بكر أولكم إسلاماً»؟.

فقال:

«لا، وقد أسلم قبله أكثر من خمسين»(1).

2 – ما رواه الحافظ ابن عساكر وابن كثير عن ابن إسحاق قوله:

«ثم إن أبا بكر الصديق لقى رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم.

فقال: أحق ما تقول قريشٌ يا محمد؟ من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آباءنا»؟.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«بلى، إنى رسول الله ونبيه، بعثنى لأبلغ رسالته، وأدعوك إلى الله بالحق، فوالله إنه للحق أدعوك يا أبا بكر، إلى الله وحده لا شريك

1- تاريخ الطبرى: ج 2، ص 60؛ الإفصاح للشيخ المفيد: ص 32؛ التعجب لأبى الفتح الكراكجى: ص 97؛ كنز الفوائد للكراكجى: ص124؛ المناقب لابن شهر: ج 1، ص289؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج 3، ص 39؛ السيرة النبوية لابن كثير: ج 1، ص 426؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج30،ص45.

له، ولا تعبد غيره، والموالاة على طاعة أهل طاعته»(1).

ومن المعلوم عند جميع من قرأ سيرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن قريشاً لم تتعرض للنبى صلى الله عليه وآله وسلم إلا بعد أن عاب عليهم عبادتهم للآلهة، كما روى ابن إسحاق قائلاً: ثم دخل الناس فى الإسلام إرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به ثم إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يصدع بما جاءه وأن ينادى فى الناس بأمره ويدعو إليه - أى نزول قوله تعالى -:

(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) (2) (أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ) (3).

- إلى أن يقول -: فلما بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله «لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه، حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلک أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته صلى الله عليه وآله وسلم»(4).

وهذا القول لا خلاف فيه من ان قريشاً لم تتعرض للنبى صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ بعد أن عاب عليهم آلهتهم وسفه أحلامهم وقول أبى بكر: «أحق ما

1- السيرة لابن إسحاق: ج 2، ص 120. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 30، ص 35. البداية والنهاية لابن كثير: ج 3، ص37.

2- سورة الحجر، الآية: 94.

3- سورة الشعراء، الآية: 214.

4- السيرة النبوية لابن هشام: ج 1، ص 282. عيون الأثر لابن سيد الناس: ج 1، ص 131. سبل الهدى والرشاد للصالحى الشامى: ج 2، ص 326.

تقول قريشٌ يا محمـد من تركک آلهتنا، وتسـفيهک عقولنا، وتكفيرک آباءنا»؟ يـدل على أنه كان يعبد الأصـنام، موقناً بما تؤمن به قريش، وانه جاء مستفسراً عن فعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

ومما يدل عليه أيضاً:

مـا روى: من أن أبـا بكر كـان المبعوث من قبـل قريش والنـاطق بلسانهـا وأن ما نزل بها يخصه فلـذا قال: «آلهتنا، وعقولنا، وآباءنا» ولم يقل «آلهتهم وعقولهم...»؛ لاسيما وقد روى «أنه كان سفيراً لقريش فى الجاهلية والناطق عنها»(1).

وفى هذه الأسـباب كفاية لتجعل العقل متيقناً بأن هذا القول: «أول من أسلم»، قول فارغ، قد اختلقه أصحاب الأغراض الشخصية والأمراض القلبية.

وإن القول الفصل الـذى لا تشوبه شائبـة هو انّ على بن أبى طالب عليه السـلام هو أول من أسـلم؛ وأن خديجـة عليها السـلام هى ثانى من أسـلم وأنهما قـد صـليا مع رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم فى اليوم التالى من بعثته ولم يكن آمن معهما غير أبى طالب عليه السـلام خلال السـنين الثلاث الأولى، وهى: «الفترة الانتقائية» التى كان النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم فيها ينتقى من يراه أهلاً لنصرة هذا الدين قبل الدعوة إليه بعامة.

وما قسم العباس بن عبدالمطلب لعفيف الكندى بقوله:

1- الجوهرة للبرى: ج 2، ص 131 - 132 وقد جاء فيه قوله: «إن أبا بكر كان سفيراً لقريش فى الجاهلية والناطق عنها».

«لا والله ما على ظهر الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة».

إلاّ حجةٌ قاطعة على أنّ الدعوة لم تكن سراً وان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يدعُ إلى هذا الدين غير على بن أبى طالب، وخديجة بنت خويلد، وأبى طالب عليهم السلام.

المسألة الثانية: ما ورد عن أهل بيت النبوة عليهم السلام فى سرية الدعوة

اشارة

وردت بعض الأحاديث الشريفة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام لتبين سير الدعوة النبوية منذ بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وإلى حين هجرته، وتظهر الحال الذى كان عليه سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم خلال هذه المدّة. ومنها:

ألف – عن محمد بن على الحلبى، عن أبى عبدالله عليه السلام، قال:

«اكتتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة مختفياً خائفاً خمس سنين ليس يظهر أمره وعلى عليه السلام معه وخديجة ثم أمره عز وجل أن يصدع بما أمر به فظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأظهر أمره. وفى خبر آخر كان مختفياً بمكة ثلاث سنين»(1).

باء – عن عبيد الله بن على الحلبى قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

«مكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة بعد ما جاءه الوحى

1- إكمال الدين وتمام النعمة – للشيخ الصدوق، باب: 33، «ما أخبر به الصادق عليه السلام»، ص 344. الغيبة لشيخ الطوسى، فصل: فى ذكر العلة المانعة من ظهوره عجل الله تعالى فرجه الشريف: ص 332. البحار: ج 19، ص 18.

عن الله تبارک وتعالی ثلاث عشـرة سـنة منها ثلاث سـنين مختفياً خائفاً لا يظهر حتى أمره الله عز وجل أن يصدع بما أمره به، فأظهر حينئذ الدعوة»(1).

وهذان الحديثان قد أظهرا مجموعة من الحالات التى رافقت حركة النبى الأكرم صـلى الله عليه وآله وسلم. خلال مدّة وجوده فى مكة، وقد أقتبس منها بعض الرواة نظرية سرية الدعوة ظانين انها حقيقة لهذا الواقع.

فى حين أن الحديثين لا علاقة لهما بما يسـمى بسـرية الدعوة وما حملته من مفهوم أقرب ما يكون لحركة سياسية معارضة للطبقة الرأسمالية المتسلطة على سوق مكة وشعابها والمتنفذة فى صناعة القرار فيها.

ولذا فقد أظهر الحديثان حقيقة سير الدعوة النبوية خلال الفترة المكية، وذلک من خلال النقاط التالية:

أولاً: حقيقة الكتمان الذى عمل به النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

إن ما تحمله كلمة الكتمان من بيان لغوى قد طغى على أذهان بعض الرواة فظنوا أن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لزم السرية التامة على نبوته والتخفى عن قريش والتستر على من آمن به، وأنه كان يوصيهم بذلک فاخفوا إسلامهم إلا

1- إكمال الدين وتمام النعمة - للشيخ الصدوق، باب: 33، «ما أخبر به الصادق عليه السلام»، ص344. الغيبة لشيخ الطوسى، فصل : فى ذكر العلة المانعة من ظهوره عجل الله تعالى فرجه الشريف : ص332.

من شذ عنهم كأبی بكر ابن أبی قحافة(1) حسبما يقولون.

إلا أن حقيقة الحدث لتختلف تماماً عن هذا المفهوم الذی أراد منه معتقدوه التركيز على بعض الشخصيات فتوهموا، وأوهموا الناس بما يعتقدون من نظرية سرية الدعوة؛ فی حين ان الكتمان الذی عمل به النبی الأكرم صلی الله عليه وآله وسلم له مصداق آخر دلت عليه الأحاديث الشريفة الواردة عن العترة النبوية، وهو:

«إنّ النبی الأكرم صلی الله عليه وآله وسلم كان يتكتم على الأذی» وهذا ما أشار إليه الحديث الذی رواه الشيخ الكلينی رحمه الله عن أبی جعفر الثانی، أی الجواد عليه السلام عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام فی حديث تضمن مجموعة مسائل قد توجه بها أحد الحجاج للإمام الباقر عليه السلام، نأخذ منها ما يناسب المطلب.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

بينا أبی عليه السلام يطوف بالكعبة إذا رجل معتجر(2) قد قيض له فقطع عليه أسبوعه، (أی طوافه) حتی أدخله إلی دار جنب الصفا، فأرسل إلی فكنا ثلاثة.

1- مسند احمد بن حنبل: ج 1، ص 404. فتح البارى بشرح صحيح البخارى: ج 7، ص126. المصنف لابن أبی شيبة: ج 7، ص 537.

2- الاعتجار: لف العمامة على الرأس من غير إدارة تحت الحنک. كتاب العين للفراهيدى، مادة «عجر»، ج 1، ص 222. وقيل: ان يلف العمامة على رأسه ويرد طرفها على وجهه لا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه. «لسان العرب، لابن منظور: مادة عجر، ج 4، ص 544».

إلى أن يقول عليه السلام:

قال – الرجل –: أخبرنى عن هذا العلم الذى ليس فيه اختلاف، من يعلمه؟.

قال: «أما جملة العلم فعند الله جل ذكره، وأما لابد للعباد منه فعند الأوصياء؛ قال: ففتح الرجل عجيرته واستوى جالساً وتهلل وجهه».

وقال: هذه أردت ولها أتيت زعمت أن علم ما لا اختلاف فيه من العلم عند الأوصياء فكيف يعلمونه؟.

قال: «كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمه إلا أنهم لا يرون ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى لأنه كان نبياً وهم محدّثون، وأنه كان يفد إلى رسول الله عز وجل فيسمع الوحى وهم لا يسمعون».

فقال: صدقت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سآتيک بمسالة صعبة؛ أخبرنى عن هذا العلم ماله لا يظهر كما كان يظهر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟.

قال:

فضحک أبى عليه السلام وقال:

أبى الله عز وجل أن يطلع على علمه إلا ممتحناً للإيمان به كما قضى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يصبر على أذى قومه، ولا يجاهدهم، إلا بأمره، فكم من اكتتام قد اكتتم به حتى قيل له:

(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (1).

وايم الله أن لو صدع قبل ذلک لکان آمنا، ولکنه إنما نظر فی الطاعة، وخاف الخلاف فلذلک کف»(2).

والروایـة واضـحة الدلالـة والحجة فی کف النبی الأکرم عن الجهاد فی هذه المدّة ومواجهة المشـرکین وانه صـلی الله علیه وآله وسـلم کان یتکتم علی الأذی، ناهیک عن قسم الإمام الباقر علیه السلام فی أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم لو صدع منذ بدایة مبعثه لکان آمناً.

ثانیاً: فی معنی انه صلی الله علیه وآله وسلم کان خائفاً

إن خوف النبی الأکرم صـلی الله علیه وآله وسـلم لم یکن من المشـرکین کما یصوره أصـحاب نظریـة سـریة الدعوة وإنما «نظر فی الطاعة، وخاف الخلاف فلذلک کف» عن مواجهتهم وصبر علی تحمل الأذی کما هو واضح فی بیان الإمام الباقر علیه السلام لحال النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی هذه المدّة.

ثالثاً: فی بیان الصدع الذی أمر به النبی صلی الله علیه وآله وسلم

إن الصـدع الذی جاءت به الآیة الکریمة إنما کان لمواساته صـلی الله علیه وآله وسـلم وتطییب خاطره وتصبیره علی الأذی النازل به وإیذاناً ببدء مرحلة الجهاد ومواجهة المشرکین بتعییب عقولهم وتسفیه أحلامهم، فلاحظ ذلک فی قول الإمام الباقر علیه السلام:

1- سورة الحجر، الآیة: 94.

2- الکافی للکلینی رحمه الله، باب: فی شأن (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ) ج 1، ص 243.

«کما قضی علی رسوله صلی الله علیه وآله وسلم أن یصبر علی أذی قومه ولا یجاهدهم إلا بأمره، فکم من اکتتام قد اکتتم به حتی قیل له:

(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِینَ) (1)».

ومما یدل علیه أیضاً:

1 - ما رواه الصفار عن عمار بن مروان عن أبی عبدالله الصادق علیه السلام انه قال:

«نحن قوام الله علی خلقه وخزانه علی دینه نخزنه ونستره «ونکتم به من عدونا کما کتم رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم» حتی اذن له فی الهجرة وجهاد المشرکین فنحن علی مناهج رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، حتی یأذن الله لنا فی إظهار دینه بالسیف، وندعو الناس إلیه فنضربهم علیه عودا کما ضربهم رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بدءاً»(2).

2 - إن الآیة فی مقام بیان المصابرة فی تبلیغ أوامر الله وهو ما ذهب إلیه السید أبو القاسم الخوئی قدس سره.

قال رضی الله عنه:

1- سورة الحجر، الآیة: 94.

2- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ص 538؛ البحار: ج 24، ص 118؛ مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سلیمان الحلی: ص 226؛ تفسیر فرات الکوفی، فرات بن إبراهیم، تفسیر سورة طه: ص 256.

«وحاصل الآية: أن الله سبحانه يحرض النبى صلى الله عليه وآله وسلم على المصابرة فى تبليغ أوامره، ونشر أحكامه، وأن لا يلتفت إلى أذى المشركين واستهزائهم، ولا علاقة لذلک بحكم القتال الذى وجب بعد ما قويت شوكة الإسلام، وظهرت حجته.

نعم إن النبى الأكرم لم يؤمر بالجهاد فى بادئ الأمر لأنه لم يكن قادراً على ذلک حسب ما تقتضيه الظروف من غير طريق الإعجاز، وخرق نواميس الطبيعة، ولما أصبح قادراً على ذلک وكثر المسلمون، وقويت شوكتهم، وتمت عدتهم وعتدهم أمر بالجهاد، وقد أسلفنا أن تشريع الأحكام الإسلامية كان على التدريج وهذا ليس من نسخ الحكم الثابت فى شىء»(1).

3 - إنها فى بيان الإعلان عن ظهور الدين على الأديان الأخرى، وفى بيانه قدس سره حول أخبار القرآن بالغيب، قال: «هذه الآية الكريمة:

(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94) إِنَّا كَفَيْنَاکَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) (2).

إنها نزلت بمكة فى بدء الدعوة الإسلامية، وقد أخرج البزاز والطبرانى فى سبب نزولها عن أنس بن مالک: انها نزلت عند مرور النبى صلى الله عليه وآله وسلم على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون فى قفاه، ويقولون هذا الذى يزعم أنه نبى ومعه جبرائيل(3)؛ فأخبرت الآية عن ظهور أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونصرة الله

1- البيان فى تفسير القرآن، السيد الخوئى: فصل مزاعم حول المتعة: ص 359.

2- سورة الحجر، الآيتان: 94 و95.

3- المعجم الأوسط، الطبرانى: ج 7، ص 150. الدر المنثور، جلال الدين السيوطى: ج 4، ص 108. السيرة الحلبية: ج 1، ص 517. لباب النقول، جلال الدين السيوطى: ص 132. سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى: ج 10، ص 255.

له، وخـذلانه للمشـركين الـذين ناوءوه واسـتهزؤوا بنبوته، واسـتخفوا بأمره، وكان هذا الإخبار فى زمان لـم يخطر فيه على بال أحد من الناس انحطاط شوكة قريش، وانكسار سلطانهم، وظهور النبى صلى الله عليه وآله وسلم عليهم؛ ونظير هذه الآية قوله تعالى:

(هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (1).(2)

4 – انها تؤمر النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن يجهر بالقرآن بالصلاة.

فعن أبى نجيـح عن مجاهد (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) يقول: «إجهر بالقرآن فى الصـلاة»(3). وهذا يشـير إلى أن النبى الأكرم كان يصـلى ولكنه لا يجهر بقراءة القرآن أثناء الصلاة، أى لـم تكن الدعوة سرية كما يصورها أصحاب هذه النظرية.

وقد روى العياشى عن الإمام أبى جعفر الباقر عليه السلام ما يشير إلى هذا المعنى أيضاً، فقد سُئِلَ عليه السلام عن قوله تعالى:

1– سورة التوبة، الآية: 33.

2– البيان فى تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئى، فصل: القرآن والإخبار بالغيب: ص68 – 69.

3– تفسير مجاهد بن جبر، تفسير سورة الحجر: ج 1، ص 344؛ تفسير القرآن، عبدالرزاق الصفانى: ج 2، ص 351؛ تفسير الثورى، سفيان الثورى: ص162.

(وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِکَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) (1).

فقال علیه السلام:

«نسختها (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) (2)».

5 – إن الآیة فی مقام بیان إظهار القرآن وفضائل أهل بیته صلی الله علیه وآله وسلم، وهو ما أخرجه الحاکم الحسکانی، عن السدی، عن أبی طالح، قال ابن عباس: «أمره أن یظهر القرآن، وأن یظهر فضائل أهل بیته کما أظهر القرآن»(3).

6 – انها فی مقام بیان عدم الالتفات والاعتناء بتهدید المستهزئین والإعراض عن المشرکین والمضی قدماً فی تبلیغ الدعوة وهو ما أخرجه الشیخ الصدوق رضی الله عنه فی خبر هؤلاء المستهزئین، فقال: «إنهم کانوا بین یدی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فقالوا له: یا محمد ننتظر بک إلی الظهر فإن رجعت عن قولک وإلا قتلناک.

فدخل النبی صلی الله علیه وآله وسلم إلی منزله فأغلق علیه بابه مغتماً بقولهم فأتاه جبرائیل علیه السلام ساعته فقال له:

یا محمد السلام یقرئک السلام وهو یقول: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) یعنی أظهر أمرک لأهل مکة وأدع (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِینَ)

قال: یا جبرائیل کیف أصنع بالمستهزئین وما أوعدونی؟.

1- سورة الإسراء، الآیة: 110.

2- التفسیر الأصفی، الفیض الکاشانی: ج 3، ص 122.

3- شواهد التنزیل، الحاکم الحسکانی: ج 1، ص 425.

قال له: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)

قال: يا جبرائيل كانوا عندى الساعة بين يدى؟.

فقال: فقد كفيتهم، فأظهر أمره عند ذلک»(1).

وقد أظهر الخبر أن قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) ليس بداية مرحلة الدعوة العلنية، بل كان النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بادئاً بها قبل نزول هذه الآية وان الأمر بلغ حد المواجهة والتهديد بالقتل فأى سرية والأمر بلغ هذا المبلغ.

وقد روى ابن إسحاق خبر المستهزئين وقصة هلاكهم فى سيرته عن عروة بن الزبير، دالاً إلى أن الأمر بلغ غاية فى الشدة؛ فلقد تمادوا فى الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاستهزاء فأنزل الله تعالى عليه (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) (2).

إذن: فسير الدعوة النبوية فى سنينها الأولى لم يكن سرياً، وإنما كان محصوراً بمكة، وإن المراد من التكتم هو عدم إظهار أمر النبوة خارج مكة، بمعنى

1- الخصال للصدوق: ص 280؛ الاحتجاج: ج 1، ص 322؛ بحار الأنوار: ج 10، ص 37؛ التفسير الأصفى، الفيض الكاشانى: ج 1، ص 639.

2- السيرة النبوية، ابن هشام الحميرى:ج3، ص277؛ جامع البيان، ابن جرير الطبرى: ج14، ص94؛ سير أعلام النبلاء، الذهبى: ج5، ص17؛ تخريج الأحاديث والآثار، للزيلعى: ج2، ص219.

ان تحرک النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم کان محصوراً بمکة یدعو إلی الإیمان به من الناس من یجد فیه الخیر والاستجابة وهم خدیجة، وعلی، وأبو طالب الذی جاء بولده جعفر فی الیوم التالی لإسلامه فقال له حینما رأی النبی وعلیاً وخدیجة یصلون «صل جناح ابن عمک»(1)، فوقف عن یسار النبی صلی الله علیه وآله وسلم یصلی وعلی عن یمینه وخدیجة خلفهما حتی أذن الله تعالی بمجیء أبی ذر الغفاری إلی مکة یستعلم حال الخبر الذی وصل إلیه من بعث النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم فیها لیکون رابع من أسلم حسبما نصت علیه المصادر. ولیکون إسلامه رضوان الله تعالی علیه أحد الأدلة علی انتفاء نظریة سریة الدعوة - کما سیأتی -.

فی حین ان مجیء أبو طالب فی الیوم التالی من بعث النبی صلی الله علیه وآله وسلم بولده جعفر الطیار وقوله «صل جناح ابن عمک» فوقف یصلی عن یسار النبی صلی الله علیه وآله وسلم لیدل علی ان جعفر الطیار کان إسلامه بعد أبیه، لیکون رابع من أسلم الا أن الأجواء التی أعقبت وفاة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وتولی خصوم الإمام علی علیه السلام سدة الحکم جعلهم یعتمون علی هذه الحقیقة فنسبت هذه المنقبة، أی رابع من أسلم إلی الصحابی الجلیل أبی ذر الغفاری رضوان الله تعالی علیه ولکن، «رب ضارة نافعة» فقد أصبح إسلام أبی ذر أحد الأدلة علی بطلان نظریة سریة الدعوة.

المسألة الثالثة: إسلام أبی ذر رضی الله عنه وحقیقة سریة الدعوة

اشارة

إن حادثة إسلام أبی ذر رضی الله عنه تدل علی أنها حصلت فی السنة الرابعة أو الخامسة من البعثة النبویة کما تدل أیضاً علی انتفاء نظریة سریة الدعوة خلال هذه السنوات، لاسیما وأن أبا ذر رضی الله عنه هو رابع من أسلم(2).

کما تدل هذه الحادثة علی أن دار الأرقم هو من نسج خیال أقلام متزلفی

1- الأمالی، الشیخ الصدوق: ص598؛ وسائل الشیعة، الحر العاملی: ج8، ص388؛ شواهد التنزیل، الحاکم الحسکانی: ج2، ص333؛ تفسیر الآلوسی: ج3، ص183؛ أسد الغابة، ابن الأثیر: ج1، ص287؛ کتاب العثمانیة للحافظ: ص315؛ السیرة الحلبیة: ج1، ص433.
2- المجموع للنووی: ج 4، ص 35.

السلطة الأموية.

ولذا، فان حادثة إسلام أبى ذر رضى الله عنه والتى تنص على انه رابع من أسلم تبدد أوهام بعض الرواة فى سرية الدعوة.

كيف كان إسلام أبى ذر رضى الله عنه

أخرج البخارى عن أبى حمزة، قال: قال لنا عبدالله بن عباس(1):

1- عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، ترجم له الذهبى بقوله: «الإمام البحر، عالم العصر، أبو العباس الهاشمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو الخلفاء - العباسيين -. مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولعبد الله ثلاث عشرة سنة وقد دعا له النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يفقهه فى الدين ويعلمه التأويل. وعن عكرمة، عن ابن عباس، قال: مسح النبى صلى الله عليه وآله وسلم رأسى ودعا لى بالحكمة. وعن شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المخرج ثم خرج فإذا تور مغطى فقال: من صنع هذا؟، قال عبدالله، فقلت: أنا. فقال: اللهم علمه تأويل القرآن. وعن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق، قال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك اسناننا ما عاشره منا أحد. وعن الأعمش أيضاً عن أبى وائل استعمل على - عليه السلام - عبد الله بن عباس على الحج فخطب يومئذ خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسرها. وعن المدائنى عن نعيم بن حفص، قال أبو بكر: قدم ابن عباس علينا البصرة وما فى العرب مثله جسماً وعلماً وبياناً وجمالاً وكمالاً. وقد توفى ابن عباس بالطائف فى سنة ثمان وستين فصلى عليه محمد بن الحنفية، وقال: اليوم مات ربانى هذه الأمة». «تذكرة الحفاظ للذهبى: ج 1، 40 - 41». ولمعرفة المزيد عن ترجمته: أنظر: «تهذيب التهذيب لابن حجر: ج 5، ص 242. الإصابة لابن حجر: ج 4، ص 122. الوافى بالوفيات للصفدى: ج 17، ص 121».

ألا أخبركم بإسلام أبى ذر؟.

قال: قلنا: بلى، قال: قال أبو ذر: كنت رجلاً فى غفار فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبى، فقلت لأخى: انطلق إلى هذا الرجل كلمه وائتنى بخبره فانطلق فلقيه ثم رجع.

فقلت له: لم تشفنى من الخبر فأخذت جربا وعصا ثم أقبلت إلى مكة فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه وأشرب من ماء زمزم وأكون فى المسجد.

قال: فمر بى على فقال:

«كأنّ الرجل غريب»؟.

قال: قلت: نعم. قال:

«فانطلق إلى المنزل».

قال: فانطلقت معه لا يسألنى عن شىء ولا أخبره فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه وليس أحد يخبرنى عنه بشىء قال: فمر بى على فقال:

«أما آن للرجل يعرف منزله بعد»؟.

قال: قلت: لا.

قال:

«فانطلق معى».

قال، فقال:

«ما أمرک، وما أقدمک هذه البلدة»؟.

قال: قلت له: ان کتمت علیّ أخبرتک.

قال:

«فانی أفعل».

قال: قلت له، بلغنا انه قد خرج ههنا رجل یزعم أنه نبی فأرسلت أخی لیکلمه فرجع ولم یشفنی من الخبر فأردت أن ألقاه، فقال له:

«اما انک قد رشدت هذا وجهی إلیه فاتبعنی أدخل حیث أدخل، فانی إن رأیت أحداً أخافه علیک قمت إلی الحائط کأنی أصلح نعلی وأمض أنت».

فمضی ومضیت معه حتی دخل ودخلت معه علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم فقلت له: اعرض علیّ الإسلام؟ فعرضه فأسلمت مکانی فقال لی:

«یا أبا ذر أکتم هذا الأمر وارجع إلی بلدک فإذا بلغک ظهورنا فاقبل».

فقلت: والذی بعثک بالحق لأصرخن بها بین أظهرهم.

فجاء إلی المسجد وقریش فیه فقال: یا معشر قریش إنی أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

فقالوا: قوموا إلی هذا الصابئ، فقاموا فضربت لأموت، فادرکنی العباس فأکب علیّ، ثم أقبل علیهم، فقال: ویلکم تقتلون رجلاً من غفار ومتجرکم وممرکم علی غفار؛ فاقلعوا عنی، فلما أن أصبحت الغد رجعت، فقلت مثل ما

قلت بالأمس؛ فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ فصنع مثل ما صنع بالأمس وأدركنى العباس فاكب علىّ وقال: مثل مقالته بالأمس، قال: فكان هذا أول إسلام أبى ذر رحمه الله»(1).

والحادثة تكشف عن انتفاء سرية الدعوة وتدل على واقع حقيقة هذه الفترة من بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم للأدلة الآتية:

ألف – التقاء الإمام على عليه السلام بأبى ذر رضى الله عنه واستضافته ثلاثة أيام ثم أخذه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الطريقة الحذرة لا يدل على أنه اسلم فى «الفترة السرية» وانما يدل على ان إسلامه كان بعد تسفيه النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأحلام قريش. بدليل ما أخرجه ابن هشام عن تحديد الوقت الذى أخذ فيه المشركون بالتعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتباعه، وهو: حينما أخذ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بتسفيه أحلامهم، وتعييبه لعقولهم، فعندها أخذوا يتعرضون له ولأتباعه.

فأراد الإمام على عليه السلام الحفاظ على أبى ذر كى لا يأخذ على الظنة، لاسيما وهو يسير مع على عليه السلام.

وعليه: فإذا كان أبو ذر رابع من أسلم فان التعرض له بسبب إسلامه كان بعد قيام النبى صلى الله عليه وآله وسلم بتسفيه أحلامهم.

باء – وجود المستهزئين يعنى أن الدعوة لم تكن سرية فلو كانت كذلك فمن أين ظهر المستهزئون؟ وظهورهم متوقف على إجهار النبى صلى الله عليه وآله وسلم

1- صحيح البخارى، باب: قصة زمزم: ج 4، ص 159.

بدعوته وتسفيهه أحلام قريش.

جيم - تعارض مصداق سرية الدعوة مع قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) (1).

لقد استدل بعض كتاب السيرة النبوية بقوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) على سرية الدعوة من حيث كونها واقعاً لحركة النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم خلال السنوات الأولى فى حين أن الاستدلال بها هو استدلال واهٍ ومغاير لما نطقت به الآية الكريمة من تشريف وتصبير لسيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم لما يلاقى من الأذى ولاسيما أولئک الذين تصدوا له فى كل محفل من محافل قريش بالاستهزاء والسخرية؛ فكان الأمر الإلهى يدعوه إلى المضى فيما كان يسير عليه ولا يفتر بسبب هؤلاء المستهزئين فقد كفاه الله شرهم ووجودهم فقد أهلكهم الله تعالى.

ولذلک: فان الآية ترسم للنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم منهاج التبليغ فى مكة وكيفية التعامل مع المشركين من خلال نهجين:

النهج الأول: هو الصدع، «والصدع فى الزجاج وفى الحائط: أن تبين بعض الشىء عن بعض»(2). وهو التفريق لقوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) (3). أى: يتفرقون(4).

1- سورة الحجر، الآية: 94.

2- مجمع البيان للطبرسى: ج 1، ص 132.

3- سورة الروم، الآية: 43.

4- لسان العرب لابن منظور: ج 8، ص 194، فصل الصاد المهملة.

ويراد به الانتقال بالـدعوة إلى التوحيـد من مكـة إلى المدن الأخرى وتفريق هذا الأمر وإظهاره خارج مكة، بمعنى توسـيع دائرة التبليغ على مساحة جغرافية واسـعة وهو ما أراده النبى صـلى الله عليه وآله وسلم من قوله لأبى ذر رضى الله عنه «حتى يأتيک أمرنا»، فهذا مراد الصدع، أما حاله صـلى الله عليه وآله وسـلم فى مكة فلم يكن مسـتتراً بدليل صـلاته فى الحرم مع على وخديجة عليهما السـلام فى اليوم الثانى من مبعثه صلى الله عليه وآله وسلم وهذا أولاً.

ثانياً: تسفيهه صلى الله عليه وآله وسلم أحلام قريش.

ثالثاً: لوجود المستهزئين، وهذه الأدلة قد بيّنّاها مفصلاً.

أما النهـج الثانى الذى جاء به الوحى فهو الإعراض عن المشـركين، أى: ترک تسـفيه أحلامهم وتعييب عقولهم. وقريب من هذا المعنى قال بعض المفسرين فى بيانهم لمراد الآية:

1 - «لا تخاصمهم إلى أن تؤمر بقتالهم».

2 - «معناه لا تلتفت إليهم، ولا تخف منهم».

3 - «أعرض عن مجادلتهم إذا آذوک»(1).

فهـذه الأقوال تشـير بوضوح إلى المنهـج الجديد الذى أمر الله به نبيه صـلى الله عليه وآله وسـلم فى تعامله مع المشـركين الذين تعرضوا له ولأتباعه، والى انتفاء ما يسمى بسرية الدعوة.

1- مجمع البيان للطبرسى: ج 6، ص 131.

دال – إنّ السـبب الذى دفع أبا ذر فى إرسال أخيه إلى مكة هو لتقصى صحة الخبر الذى وصل إلى أهل غفار بظهور نبى جديد فى مكة وهذا يدل على انتشار أمر النبوة بمساحة جغرافية حدودها من لبنان إلى مكة.

وعليه: فأى سرية كانت للدعوة وخبرها منتشر على هذه الرقعة الجغرافية؟!.

إذن:

فإن إعلان أبى ذر إسـلامه يدل على أنه أسـلم بعد انتشار أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ لا يمكن أن يأتى أبو ذر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسلم على يديه ثم يقوم بمخالفة أمر رسول الله فيكشف عن دينه ويعرض نفسه للتهلكة فهذا الأمر لا ينسجم مع روح الشـريعة الإسـلامية ولا مع شخصـية أبى ذر رضى الله عنه. وما عرف عنه من صدق الطاعة والإخلاص لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه: فقيامه بالإعلان عن إسلامه إنما هو ينصب فى صميم نهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى تسفيه أحلام قريش.

ولذا نجده كان يعيد الأمر مراراً ليسـجل التاريخ لهذا الرجل أنه صاحب الصـرخة الأولى من صـرخات أصـحاب النبى صلى الله عليه وآله وسـلم التى تطلق فى وجه الظلم وليـدون بأحرف من نور أن أبا ذر رجل الجهاد والولاء، وأنه قـد انتهـج هذا النهج منذ أن أكرمه الله برسوله صلى الله عليه وآله وسلم فكان البيت الحرام هو منطلقه الأول والآخر كما حدث بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم إذ دافع أبو ذر عن بيعة الغدير وولاية على عليه السلام بعد أحداث السقيفة(1).

إذن: كان النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يتكتم على دعوة من يدعوه للدخول إلى هذا الدين ولم يكن يتكتم على نفس الدين بدليل:

1 – انه كان يصلى مع خديجة وعلى عليهما السلام قرب الكعبة.

2 – تعرضه للتهديد بالقتل من المستهزئين وانتشار خبره إلى لبنان وفلسطين.

3 – مجىء أبى ذر إلى مكة وإسلامه رضى الله عنه وطريقة إعلانه لما يعتقد به ووقت دخوله الإسلام يدل على أن الأمر تم فى السنة الرابعة أو الخامسة.

ولذا: لا وجود لفترة سرية؛ وإنما الذى كان هو فترة انتقائية، أو تمهيدية كان النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ينتقى الأفراد فيها ويطلب منهم الكتمان لخوفه عليهم من طغاة قريش وهم ينظرون إليه قد سفه أحلامهم، وعاب عقولهم، فلا يستطيعون التعرض له لمكانته من أبى طالب عليه السلام فينعطفون على من آمن به؛ وهو ما حصل لأبى ذر حينما تحدى قريشاً ونادى فيهم بالشهادتين.

ثانياً: منطوق الرواية يدل على ان أبا طالب تكتم على العرض الذى قدمه النبى صلى الله عليه وآله وسلم له

ومن هنا نعود إلى ما أخرجه الحافظ أبو سعيد الخركوشى الذى أوردناه فى بداية المبحث الأول وتناولنا نقاط البحث فيه، وقلنا فى النقطة الثالثة: ان المراد من قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: فاكتم علىَّ، هو طلب التكتم على العرض الذى عرضه النبى صلى الله عليه وآله وسلم على أبى طالب عليه السلام فى حال عدم قبوله الدخول فى هذا الدين.

1– شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى: ج 6، ص 13.

فكانت النتيجة: إنّ أبا طالب عليه السلام قبل العرض وتكتم على إسلامه منذ هذه اللحظة التى رأى فيها النبى يصلى ومعه على وخديجة عليهما السلام، فكان وقت إسلامه رضى الله عنه فى اليوم التالى لتنبؤ النبى صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن النصوص التى أوردناها تبين ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقف يصلى وخديجة وعلى عليهما السلام صلاة الجماعة فى اليوم التالى من نزول الوحى.

ومما يدل عليه:

أولاً: «حوار أبى طالب مع الإمام على عليه السلام يدل على أنه أسلم فى هذا الوقت»

بعد أن سمع أبو طالب كلام النبى صلى الله عليه وآله وسلم وفهم معانيه وما يريده النبى منه لم يُجبْ على قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأى كلمة، إنما توجه بالسؤال إلى ولده على أمير المؤمنين (سلام الله عليه) لحاجة كانت فى نفس أبى طالب؟!.

فقال: «ألا ترى إلى محمد ما يقول»؟!.

فأجابه على عليه السلام:

«يا أبه إن محمداً لصادق فيما يقول، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وانّ محمداً عبده ورسوله»(1).

وعند البحث فى مدلولات هذا الحوار ظهر ما يلى:

1- شرف المصطفى للحافظ الخركوشى: ص 24، «مخطوط» يرقد فى مكتبة الأسد بدمشق ويحمل الرقم «1887».

1 – أراد أبو طالب عليه السلام أن يتأكد من حقيقة دخول ولده على عليه السلام إلى هذا الدين، وأن وقوفه مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم يؤدى الصلاة لم يكن عن دافع المتابعة العاطفية التى تربط النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع الإمام على عليه السلام؛ بل أن هذا الوقوف فى الصلاة كان معبراً عن صدق يقينه ورسوخ إيمانه.

ولذا تراه عليه السلام نطق بالشهادتين، وإلا كان قوله عليه السلام: «يا أبه ان محمداً لصادق فيما يقول» فيه كفاية تدل على وقوف ولده على عليه السلام مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم لكن نطقه بالشهادتين كان دليلاً يقدمه لأبيه على صدق إيمانه وتمسكه بدينه.

2 – إنّ نطق الإمام على عليه السلام بالشهادتين يكشف عن كمال عقله وفطنته من جهة، ومن جهة أخرى يظهر جميل ذوقه وأدبه، ولطف بره بوالده، إذ نقل لأبيه كيف ينطق الشهادتين دون أن يسأل عنهما أبو طالب عليه السلام إذ المفروض أن يتوجه أبو طالب إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم. فيسأله عن كيفية الدخول إلى هذا الدين، أهو عبارة عن هذه الصلاة التى رآهم يؤدونها، أم إنه شىء آخر؟.

ولأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم طلب منه التكتم على ما عرضه عليه، فأن أبا طالب لم يسأل عن أى شىء لكى لا تفهم خديجة أو ولده عليهما السلام أنه قبل العرض. وما ذاك إلا من شدة حرصه على وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحكمته البالغة فى التعامل مع الحدث، ولذا نراه توجه بالسؤال إلى ولده عليه السلام.

ومن هنا، كانت الالتفاتة من أمير المؤمنين على عليه السلام فقام ونطق الشهادتين أمام أبيه لكى يبين له أن الدخول إلى هذا الدين يكون من خلال النطق بهذه الكلمات؛ وإلا كيف يمكن ان ينسجم تأخير الشهادتين على القيام بتأدية الصلاة؟

بمعنى: إنّ المسلم كى يدخل إلى هذا الدين ينبغى به أن ينطق الشهادتين ثم يتوضأ ثم يصلى فى حين نجد أن الرواية تشير بوضوح إلى مجىء أبى طالب إلى النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ومع على وخديجة وهم يصلون فيسأل عن هذا الأمر الذى أظهره النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم يلتفت إلى ولده على فيسأله عن قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليطمئنّ ان ولده مؤمن بهذا الدين وانه وقف يصلى مع النبى من دافع إيمانه وان الغرض من نطقه الشهادتين فى هذا الوقت هو عبارة عن نقل هذه الكلمات التى يستطيع من خلالها أبو طالب الدخول إلى هذا الدين.

وعليه: فان أبا طالب رضى الله عنه كان قد أسلم فى هذا الوقت أى فى اليوم التالى لبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأنه تكتم على إسلامه فلم يظهره لساناً لأحد لكن فى نفس الوقت أظهر إيمانه بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من خلال تلك المواقف التى آوى وناصر ودافع بها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت كل ذرة فى أبى طالب تنطق بالإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: «خاتمة الرواية تدل على أنه ثالث من أسلم»

ان البداية والنهاية لهذه الرواية تسير بنسق واحد وتدل على معنى واحد وهو ان أبا طالب أسلم فى هذا الوقت.

فأول شىء ابتدأت به الرواية هو: «ان أول من أسلم خديجة فقامت تصلى

مع رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم فجاء على فرآهما يصـليان فدخل معهما الإسـلام فقاموا ثلاثتهم يصلون، ثم جاء أبو طالب وهم يصلون».

وآخر شيء انتهت به الرواية هو: «وتتابع المسلمون وأظهر الله دينه»(1).

فهـذا النسق يـدل على أن محتوى الرواية يشـير بوضوح إلى مَنْ أسـلم عند بدء البعثة، وكيف دخل المسـلمون إلى هذا الدين، حتى وان لم تذكر نصاً ان أبا طالب نطق الشهادتين فى هذا الوقت بدليل أنها لم تنص لفظاً على أن علياً ثانى من أسلم.

إلا أن سـياقها العام ومدلولها البيانى يشير إلى هذه الحقيقة بقرينة ما يرد على السامع عند سماعه هذا الحوار ومثاله «جاء اثنان من المصلين إلى المسـجد ثم جاء ثالث ثم تتابع المصلون» فهذا السياق فى هذا المثال يدل على ان الشخص الثالث هو أيضاً من المصلين وان لم يتبع بكلمة الصلاة.

وعليه: فان السـياق العام للرواية التى أخرجها الحافظ أبو سـعيد الخركوشى مع ما جاءت به من مفهوم أفصح عنه منطوقها كلها تدل على ان الفرد الثالث الذى دخل إلى الإسلام هو أبو طالب عليه السلام حتى وان لم يصرح بذلك الراوى.

1- شرف المصطفى للحافظ أبى سعيد الخركوشى، ص 24، «مخطوط» يرقد فى مكتبة الأسد ويحمل الرقم «1887».

المبحث الرابع: العلة فی إخفاء أبی طالب علیه السلام إسلامه

ص: 101

بقى أن نورد جواباً لما سيرد على ذهن القارئ الكريم من تساؤل يدور حول العلة التى جعلت أبا طالب يتكتم على إسلامه فلا يظهره؟ والجواب على ذلک يكمن فى النقاط التالية:

1 – التزاماً بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى تضمنها معنى قوله: «فإن دخلت معى فيه وإلا فاكتم علىّ» وبيّنا من خلال البحث المتعلق بسرية الدعوة أنّ المراد من «فاكتم علىّ» أى: فاكتم علىّ العرض الذى عرضته عليک فى أمر الدخول إلى هذا الدين الذى ارتضاه الله لنفسه.

2 – إنّ الدور الذى كان يترتب على أبى طالب فى قيام هذا الدين، وقيامه بحماية رسول الله يلزمه بالتكتم وعدم إظهار إسلامه.

3 – إنّ هذا التكتم مكنّه من توفير التغطية للنبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وذلک من خلال ما يتمتع به من حصانة اجتماعية وقيادية، فهو شيخ الأبطح، وزعيم بنى هاشم التى بيدها سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام، وحلوان

النّفر(1)، ولهذه المكانة كانت العرب تجله وتهيبه وتقدره، فضلاً عن جميع ذلک کان یتمتع برصید ضخم من المفاخر والمآثر التی کانت ترافقه فی حله وترحاله حتی قیل: «إذا أطعم أبو طالب امتنعت قریش من أن تطعم أحداً»(2) لبالغ کرمه، فهذا کان حاله، وهکذا کانت مکانته بین قومه، وبین العرب تفوح عطراً شذیاً کالعطور التی کان یتجر بها، فهو أول من باع العطر واتجر به(3).

4 – لو عکسنا الأمر، أی: أنه أظهر إسلامه فما هی النتائج؟.

أ . جعله مع النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی صف واحد من المواجهة.

ب . إنشقاق بنی هاشم بین ساکتٍ وبین مخالفٍ.

ج . تمکن طغاة قریش من تألیب الناس ضد النبی صلی الله علیه وآله وسلم لأنه فارق دینهم ودخل فی دین الرسول الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم.

د . عدم تمکنه من توفیر الحمایة لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم.

هـ . عدم مقدرته علی جمع بنی هاشم من حوله لأنه ترک دین أهل مکة ومن ثم یکون قد فقد ما یملک من عناصر أساسیة وفاعلة فی توفیر الحمایة لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم.

وقد ظهر ذلک جلیاً فی حوادث متعددة، منها هذه الحادثة التی تکشف عن إمکانیته الکبیرة فی حمایة النبی صلی الله علیه وآله وسلم معتمداً فی ذلک علی عنصرین وهما:

1– الجوهرة للبری: ج 2، ص 133.

2– الجوهرة للبری: ج 2، ص 133.

3– الأوائل للعسکری علیه السلام: ص 340؛ المعارف لابن قتیبة: ص 575.

أولاً: انقياد بنى هاشم لأمره.

وثانياً: منزلته السامية والمرموقة بين أشراف قريش، حتى فاقهم شرفاً، ورفعةً، وسمواً، ومهابةً، لدرجة انهم اقروا له بسيادته وفضله عليهم.

فقد روى أنّ بعض أشراف قريش جاءوا إلى أبى طالب وطلبوا منه أن يدفع إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويدفعوا إليه (عمارة بن الوليد) فأبى ذلک وقال: أتقتلون ابن أخى وأغذو لكم ابنكم ان هذا لعجب!.

فقالوا:

ما لنا غير أن نغتال محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - فلما كان المساء فقد أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخاف أن يكونوا قد اغتالوه، فجمع فتياناً من بنى عبد مناف، وبنى زهرة، وغيرهم، وأمر كل فتى منهم أن يأخذ معه حديدة ويتبعه، ومضى، فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال له:

أين كنت يا بن أخى؟ أكنت فى خير؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

نعم والحمد لله.

فلما أصبح أبو طالب دار على أندية قريش والفتيان معه، وقال: بلغنى كذا وكذا، والله لو خدشتموه خدشاً ما أبقيت منكم أحداً إلا أن أقتل قبل ذلک! فاعتذروا إليه.

وقالوا: أنت سيدنا وأفضلنا فى أنفسنا.

وقال أبو طالب:

منعنا الرسول رسول المليكِ

***

ببيضٍ تلألأ مثل البروق

اذب واحمى رسول الإله

***

حماية عمٍ عليه شفيق(1)

وفى هذه الحادثة يقول الحافظ العراقى منشداً:

ثم مشت قريش الأعداء

***

إلى أبى طالب إذ يساء

من ابنه محمد فى سبهم

***

وسب دينهم وذكر عيبهم

فى مرة ومرة ومرة

***

وهو يذب ويقوى أمره

فى آخر المرات قالوا أعطنا

***

محمداً وخذ عمارة ابننا

بدله قال أردتم أكفل

***

ابنكم وأسلم ابنى يقتل

ثم مضى يجهر بالتوحيد

***

ولا يخاف سطوة العميد(2)

وبناءً على ما تقدم فقد بدا لنا: أن السبب الذى دفع أبا طالب لإخفاء إسلامه هو التزامه بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما عرض عليه الدخول إلى الإسلام ومنحه خصائص ومناقب فيما لو عمل على نصرة هذا الدين وهو الأمر الذى نص عليه القرآن كقوله:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى

1- ديوان شيخ الأباطح: ص 24؛ أنساب الأشراف: ج 2، ص 36، وص 31.

2- نظم الدرر السنية فى السيرة الزكية للحافظ العراقى، «مخطوط» يرقد فى مكتبة الأسد بدمشق، ويحمل الرقم «18855».

شَيْئًا) (1).

فضـلاً عن أن الأحداث التی رافقت سـیر الدعوة خلال السـنوات المکیة ولاسـیما بعد وفاة أبی طالب علیه السلام قد دلت بوضوح تام علی نجاح حکمة أبی طالب فی إخفائه إسـلامه، إذ ان الحال العسـیر الذی أصـبح علیه النبی الأکرم صـلی الله علیه وآله وسـلم بعد رحیل عمه لخیر دلیل علی بیان نتائـج هـذه الحکمـة البالغة التی لولاها لما تمکن النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم من تحقیق تقدم یذکر، بل لوئدت الرسالـة فی مهـدها لشـدة ما یحیط بها من أخطار عظیمـة ممثلـة برهبان الیهود، وکهنـة المشـرکین والسـحرة وطغاة السـلطة وفراعنة المال، وسماسرة العبید، وتجار النساء، ومتعطشی الدماء، ومنتهکی الحرم، وصعالیک الأعراب، والمتسلطین بأنسابهم وأمجاد آبائهم، وغیرها لکثیر جداً فیما لو أخذنا بعین الاعتبار أن النهج الذی ینتهجه الأنبیاء علیهم السلام فی تبلیغ الأحکام قائم علی الدعوة إلی الله بالحکمة والموعظة الحسـنة، ولیس علی القوة، وان کانوا مؤیدین ومسددین من السـماء، إذ «أبی الله أن یجری الأشـیاء إلا بأسبابها»(2). فکان من أسباب قیام هذا الدین وجود أبی طالب رضوان الله تعالی علیه.

إذن:

حقیقة إسلام أبی طالب علیه السلام قد عرفها المحب لعلی بن أبی طالب علیه السلام والمبغض، والفرق بینهما:

1- سورة النور، الآیة: 55.

2- الکافی، الشیخ الکلینی، باب: معرفة الإمام والرد إلیه، ج 1، ص 183.

أنّ المحب قال: إنّ أبا طالب كان مؤمناً لكنه لم يظهر ذلک لساناً بنطق الشهادتين.

وإنما أظهره بفعله الـذى لم يأتِ بمثله أحـد من العالمين فيما إذا أخذنا بعين الحسـبان ما يمتاز به الزمان والمكان والأشـخاص الذين بعث فيهم النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وبمعنى آخر: إنّ أبا طالب لم يُظهر إسلامه بنطق الشهادتين أمام الملأ من قريش ولكنه أظهر إيمانه بيده ولسانه وقلبه بل أنّ كل ذرة فى كيان أبى طالب عليه السلام تنطق إيماناً وجهاداً.

وأما المبغض فيقول: «أنه مات على دين قومه، ولم يسلم، وأنه فى ضحضاح من النار».

وأعجب ما قيل فى هذا الصدد، هو قول ابن كثير الأموى، الذى ذهب: إلى أنّ الله تعالى قد حكم وقضى على أبى طالب بأنْ يكون على دين قومه ويموت كافراً ويدخل النار ويعذب بنعلين يغلى منها دماغه.

وهذا نص قوله: «وكان اسـتمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صـنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشـركى قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه ولاجترؤوا عليه، ولمدّوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه، وربک يخلق ما يشاء ويختار وقد قسم خلقه أجناساً وأنواعاً»(1).

ثم يضيف قائلاً: «فهذان العمّان كافران! أبو طالب وأبو لهب، ولكنّ هذا

1- السيرة النبوية لابن كثير: ج 1، ص 461؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج 3، ص 54.

يكون فى القيامة فى ضحضاح من نار، وذلک فى الدرک الأسفل من النار»(1).

وهذا من أعجب ما قيل!! بل (وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا) (2).

إذ كيف تقتضى حكمة الله تعالى أن يكون أبو طالب كافراً - والعياذ بالله - ثم يقوم بإدخاله النار فيعذبه؟!. استغفر الله من كل قبيح ينسب إلى الله عز وجل.

إلى هذا الحد يمكن للبغض ان يعمى القلوب فيجترأ بذلک على الله تعالى؟!.

كيف يمكن أنْ يكون الله عز وجل حكيماً، - وهو الذى لا يصنع العبث -، ثم بعد ذلک يرمى بعبده الذى كتب عليه الكفر فيدخله النار فيجعله مع عدوه أبى لهب.

ألا يحتج أبو طالب يوم القيامة على خالقه فيقول: ما ذنبى وقد قضيت على يا رب بالكفر ثم تعذبنى بنارک.

كيف يا ربى وأنت المحسن الذى يجازى الإحسان بالإحسان، أن تعذبنى بنارک وقد أفنيت عمرى وأنا أحسن إلى حبيبک ورسولک محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (3).

أليس القول بأن أبا طالب عليه السلام أسلم ولكن لم يظهر إسلامه وتظاهر لقريش بأنه مازال على دينهم من أجل أن يقوم بحماية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويدفع عنه الأذى، هو أصدق للعقل، واسلم للقلب، وأرضى للرب،

1- نفس المصدر السابق.

2- سورة المجادلة، الآية: 2.

3- سورة الأنبياء، الآية: 22.

ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، الذى كان يؤذيه التقليل من شأن عمه أبى طالب عليه السلام فكيف بمن يصفه بالكفر – والعياذ بالله –.

ألم يقرأ ابن كثير وغيره ما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يتألم ويتأذى حينما يُـذْكَر أبو طالب بسوء، حتى وان كان القائل هو عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب وهو جريح بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم.

ألم يقرأ ابن كثير وغيره ممن يصفون أبا طالب بالكفر، قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) (1).

فانظر أخى القارئ بعين الإيمان والإنصاف إلى حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكيف تألم حينما أراد عبيدة بن الحارث – عن دون قصد – التقليل من شأن أبى طالب عليه السلام فى هذه الحادثة وهى كالآتى:

روى أنه «لما أصيب عبيدة بن الحارث يوم بدر حمله عمه حمزة وعلى بن أبى طالب عليهما السلام وأتيا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر إليه رسول الله واستعبر، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبى أنت وأمى ألست شهيداً.

فقال:

«بلى أنت أول شهيد من أهل بيتى».

قال: أما لو كان عمك حيا لعلم أنى أولى بما قال منه.

1- سورة الأحزاب، الآية: 57.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

وأى أعمامى تعنى؟.

فقال: أبو طالب حيث يقول عليه السلام:

كذبتم وبيت الله نبزى محمداً

***

ولما نطاعن دونه ونناضل

وننصره حتى نصرع حوله

***

ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أما ترى ابنه كالليث العادى بين يدى الله ورسوله وابنه الآخر فى جهاد الله بأرض الحبشة.

فقال: يا رسول الله أسخطت علىّ فى هذه الحالة؟!.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

ما سخطت عليک، ولكن ذكرت عمى فانقبضت لذلک»(1).

فكيف كان حاله صلى الله عليه وآله وسلم وانقباضه حينما يصف ابن كثير وغيره أبا طالب بالكفر والعياذ بالله. لاسيما وأنّ الكثيرين على هذا الاعتقاد، بل يسعون فى إضلال المسلمين به ونشره بينهم.

1- تفسير القمى: ج 1، ص 266. بحار الأنوار: ج 19، ص 255. التفسير الصافى للفيض الكاشانى: ج 2، ص 281. تفسير نور الثقلين للحويزى: ج 2، ص 132. الصحيح من سيرة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للسيد جعفر مرتضى: ج 5، ص 47. وجاء فيه: «وفى شرح النهج للمعتزلى: ج 14، ص 80: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، استغفر له ولأبى طالب يومئذ. وفى الغدير: ج 7، ص 316. وفى نسب قريش لمصعب: ص 94، أن عبيدة قال: يا رسول الله يا ليت أبا طالب حىٌّ حتى يرى مصداق قوله، الخ..».

فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: 112

المبحث الخامس: تدخل الحكام وأشياعهم فى تدوين السيرة النبوية وسعيهم فى تغيير الحقائق ومنها حقيقة إسلام أبى طالب عليه السلام

اشارة

ص: 113

إنّ من المآسى التى حلت بالإسلام هو تعرض سيرة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسنته لتدخل الخلفاء وأشياعهم فدونت بعض أجزائها حسبما يخدم المصالح الشخصية لهذا الخليفة أو ذاک، ناهيک عن تأثرها بالأجواء التى أضفتها أحداث السقيفة وما أعقبها من تكتلات داخل المجتمع المدنى لتتوسع إلى الشام والعراق.

كما انّ التاريخ الإسلامى هو أيضاً لم يكن بمنأى عن تلک التدخلات سواء على مستوى السلطة الحاكمة، أو على مستوى المصنّف، أو الرواة الذين أُخِذَ عنهم سير الحدث.

والشواهد على هذه الحقيقة المفجعة كثيرة جداً.

فأما سيرة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقد تصدى لتدوينها مجموعة من المؤرخين اهتموا بادئ الأمر بذكر المغازى والحروب وهو ما يكشف عن تأثر المجتمع العربى بهذه الأجواء التى تدخلت فى تعميقها أمور كثيرة.

منها:

1 – ما كان موروثاً اجتماعياً غلب عليه الطابع القبلى الذى امتازت به مجتمعات الجزيرة العربية قبل الإسلام.

2 – ومنها ما كان تبعاً طبيعياً لما شـهدته الخلافة بعد وفاة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم من أحداث عصيبة، وهذا أخطر من الأول، لاجتماع عدة عوامل فى ظهوره، كالعامل العشائرى، والدينى، والسياسى، والشخصى.

وتبعاً لتلك العوامل فانّ تدوين السيرة النبوية تأثر بها أشد التأثير، والشواهد على ذلک كثيرة نعرض لها فى المسائل الآتية:

المسألة الأولى: دور حكام بنى أمية وأشياعهم فى تدوين السيرة النبوية والتلاعب بها

إنّ أول محاولة لجمع السـيرة وتدوينها ومن ثم نسـخها كانت فى زمن الحاكم الأموى عبد الملک بن مروان حسبما ذكره الزبير بن بكار فى الموفقيات، فقال: «قدم سليمان بن عبد الملک إلى مكة حاجاً سنة 82 هـ، فأمر أبان بن عثمان بن عفان(1) ان يكتب له سير النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومغازيه.

1- أبو سـعيد أبان بن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، كان والياً على المدينة لعبد الملک بن مروان سبع سنين ثم عزله عنها؛ عـده الرازى فى المـدينين، وقـد روى عنه أبو الزناد وبنيه بن وهب وعبـدالله بن أبى بكر والزهرى. مات بالفالج فى خلافة يزيد بن عبد الملک عام 105 هـ. راجع: «الطبقـات لابن سـعد: ج 5، ص 151 – 152؛ الجرح والتعـديل للرازى: ج 2، ص295؛ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ص 111؛ تقريب التهذيب لابن حجر: ج 1، ص 51؛ تهذيب التهذيب لابن حجر: ج 1، ص 84.

فقال له أبان: هی عندی، قد أخذتها مصححة ممن أثق به. فأمر سليمان عشرة من الكُتّاب بنسخها، فكتبوها فی رق، فلما صارت إليه نظر فإذا فيها ذكر الأنصار فی العقبتين وفی بـدر، فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل، فإما أن يكون أهل بيتی غمصوا عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا!.

فقال أبان: أيها الأمير، لا يمنعنا ما صنعوا أن نقول بالحق، هم ما وصفنا لک فی كتابنا هذا.

فقال سـليمان: ما حاجتی إلی أن أنسخ ذاک حتی أذكره لأمير المؤمنين لعله يخالفه، ثم أمر بالكتاب فخرق، ورجع فأخبر أباه عبد الملک بن مروان بذلک الكتاب.

فقال عبد الملک: «وما حاجتک أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل، تُعرّف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها؟!.

قال سليمان: فلذلک أمرت بتخريق ما نسخته»(1).

والحادثـة التی مرّ ذكرها لا تحتاج إلی تعليق، فهی واضـحة الدلالـة فی تـدخل حكام بنی أميـة فی تدوين السـيرة النبوية؛ ويا ليت ان الأمر اقتصـر علی التدخل فی كتابتها، بل حرق هذه السـيرة وإتلافها لكونها لم تتضمن بين ثناياها أی ذكر لبنی أمية فی مواضع الخير التی حفت بها سيرة النبی صلی الله عليه وآله وسلم.

وما أدری ما هو ذنب السيرة إذا كان بنو أمية قد تعاقدوا مع الشر فكانوا حضوراً معه أينما حضر؛ هذا من جانب.

1- الموفقيات للزبير بن بكار: ص 322 - 323.

والجانب الآخر: إذا كانت السيرة النبويـة فی زمن عبد الملک بن مروان ينتهی بها الحال إلی الحرق لخلوها من ذکر طيب لآل عبد الملک بن مروان فکيف يکون حالها وهی تضم مناقب بنی هاشم وعلی رأسهم علی بن أبی طالب عليه السلام.

ولذلک: کانوا إذا مرّ بهم حديث فيه ذکر لعلی بن أبی طالب عليه السلام يتعاملون معه تعاملاً خاصاً يدل عليها الشاهد الآتی:

روی أبو الفرج الأصفهانی: «إنّ خالداً القسری(1)- وهو أحد ولاة بنی أمية - طلب من أحد الرواة أن يکتب له السيرة فقال الکاتب: فإنه يمر بی الشیء من سيرة علی بن أبی طالب، أفأذکره؟.

1- خالـد بن عبـدالله بن يزيـد بن أسـد بن کرزة، أبو الهيثم البجلی القسـری، أمير مکة للوليد بن عبد الملک، وأمير العراقين لهشام بن عبد الملـک وهو من أهـل دمشق. «تاريـخ دمشق لابـن عسـاکر: ج 16، ص 135». قـال الـذهبی عنه فی الکـاشف: «ناصبياً عَـذّبَ وقَتَلَ». «الکاشف فی معرفة من له رواية فی کتب السنة: ج 1، ص 366». وقال فی السير نقلاً عن ابن خلکان: «کان يتهم فی دينه، بنی لامه کنيسة تتعبد فيها، وفيه يقول الفرزدق: ألا قبح الرحمن ظهر مطية *** أتتنا تهادی من دمشق بخالد وکيف يؤم الناس من کان أمه *** تدين بأن الله ليس بواحد بنی بيعة فيها الصـليب لامه *** ويهدم من بغض منار المساجد «سـير أعلام النبلاء: ج 5، ص 427». وقال الذهبی فی ميزانه وفی تاريخ الإسـلام: «ناصبی بغيض ظلوم، قال ابن معين: رجل سوء يقع فی علی». « ميزان الاعتدال: ج 1، ص 633؛ تاريخ الإسلام: ج 8، ص 83؛ الوافی بالوفيات للصدفی: ج 13، ص 156».

فقال خالد: لا، إلاّ أن تراه فی قعر جهنم»(1).

والسؤال المطروح هو: أفبعد هذا البغض لعلی بن أبی طالب علیه السلام کیف یکون حال أبیه، أبی طالب علیه السلام فی عقول بنی أمیة؟ ألا تغلی أدمغتهم بضحضاح نار حقدهم علی أبی طالب علیه السلام.

إذن:

هذا هو حال تدوین السیرة النبویة فی عصر ملوک بنی أمیة، وهی أی هذه السیرة ترتبط بمن یقولون أنهم من أتباع دینه فکیف تکون عندهم سیرة من لا یعتقدون به؟ وکیف تکون سیرة من یبغضونه کل هذا البغض الذی دلت علیه الروایة.

المسألة الثانیة: دور حکام بنی العباس فی تدوین السیرة النبویة

اشارة

بعد أن انتهت محاولة کتابة السیرة النبویة فی حکم عبد الملک بن مروان بتلک النهایة المفجعة فضاعت معها معالم أمةٍ کاملةٍ وأحرقت انجازات الرسالة المحمدیة فی حقبة أسیاسیة لقیامها، وهی بیعة العقبتین، ومعرکة بدر مع مالهما من الخصوصیة التی أظهرتها الآیات القرآنیة، فمع کل هذا وغیره، فانّ حال تدوین السیرة النبویة فی دولة بنی العباس وما تلاها إلی یومنا هذا لم یکن أفضل مما کان علیه فی العهد الأموی.

1- الأغانی لأبی الفرج الأصفهانی: ج 22، ص 15، من روایة المدائنی؛ الفصول المهمة لابن الصباغ المالکی: ج 1، ص 53.

غير أنّ الفارق بين العصر الأموى والعصور التى تلته – فضلاً عن تدخل السلطة العباسية – هو تعرض شيخ كتاب السيرة رحمه الله ورواته الثلاثة إلى هجمات متتالية منذ أن بدأ يحدث الناس عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى هذا الوقت.

متى كتبت السيرة النبوية فى دولة بنى عباس

إنّ أول من كتب السيرة النبوية فى هذه الحقبة الزمنية بشكل منظم ومرتب جمع فيه المغازى والسيّر هو محمد بن إسحاق، حتى لقب ب_«شيخ كتاب السيرة». وصار من كتب بعده عيالاً عليه(1)، وقد روى ابن سعد قائلاً: «كان ابن إسحاق أول من جمع مغازى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخرج من المدينة قديماً فلم يروِ عنه أحد منهم غير إبراهيم بن سعد وأتى – ابن إسحاق – أبا جعفر المنصور بالحيرة فكتب له المغازى فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب»(2).

وقد حاول البعض إثارة الكثير من التساؤلات حول ابن إسحاق لأغراض متعددة. مما دعا أحد كتاب السيرة النبوية وهو ابن سيد الناس أن يضع مقدمة فى أول كتابه(3) تضمنت جميع الآراء والتساؤلات التى دارت حول هذه الشخصية لأجل دفع هذه الآراء وبيان صحة ما يرويه ابن إسحاق فى السيّر والمغازى لكونها الأصل الذى يعتمد عليه فى السيرة النبوية.

1- السير والمغازى لابن إسحاق، تحقيق سهيل زكار: المقدمة ص 9، ط دار الفكر.

2- سير أعلام النبلاء للذهبى: ج 7، ص 48، ط مؤسسة الرسالة.

3- عيون الآثر: ص 19 – 26، ط مؤسسة عز الدين.

المسألة الثالثة: دور ابن هشام فى تغيير السيرة النبوية

لم تنتهِ الحملة التى شنت على سيرة النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة مصنّفها محمد بن إسحاق.

فبعدما انتقل إلى جوار ربّه، روى عنه ثلاثة من الرواة وهم كل مِن:

1 - يونس بن بكير.

2 - زياد بن عبدالله البكائى.

3 - محمد بن سلمة الحرانى.

وتعود السيرة التى بين أيدينا إلى زياد بن عبدالله البكائى وقد روى عنه ابن هشام حتى باتت السيرة النبوية اليوم تعرف باسمه؛ وابن هشام هو: أبو محمد عبدالله بن هشام بن أيوب، الحميرى، المعافرى، الذهلى، البصرى المولد، والمصرى النشأة والوفاة(1).

له مصنفات منها «كتابٌ فى أنساب حمير وملوكها، وكتابٌ فى شرح ما وقع فى أشعار السيّر من الغريب، وكتابٌ فى قصص الأنبياء، وكتاب التيجان. فضلاً عن جمعه للسيرة النبوية التى تدخل فى تدوينها بشكل كبير دل عليه قوله واعترافه بذلك حينما ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

1- أنظر ترجمة ابن هشام: «وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 3، ص 177؛ الوافى بالوفيات للصفدى: ج 19، ص 142؛ تاريخ الإسلام للذهبى: ج 15، ص 281.

فقال:

«وانا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسـماعيل بن إبراهيم - عليهما السـلام - ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - إلى أن يقول - : وتارک بعض ما ذكره ابن إسـحاق فى هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شىء، وليس سبباً لشىء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، «وأشياء بعضها يشنع الحديث به!!» «وبعضها يسوء بعض الناس ذكره»!!. وبعض لم يقر لنا البكائى بروايته»(1).

ولقد أقرّ كثير من الحفاظ بتدخل ابن هشام فى تدوين السيرة النبوية فحذف منها ما شاء.

فقد قال الصفدى: «نقحها وحذف جملة من أشعارها»(2).

وقال ابن خلكان: «جمع سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذبها ولخصها»(3).

وقال الذهبى: «سمعها من زياد بن عبدالله صاحب ابن إسحاق ونقحها وحذف جملة من أشعارها»(4).

1- السيرة النبوية لابن هشام: ج 1، ص 2؛ السير والمغازى لابن إسحاق، بتحقيق سهيل زكار: ص 15، من المقدمة.
2- الوافى بالوفيات للصفدى: ج 19، ص 142.
3- وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 3، ص 177.
4- تاريخ الإسلام للذهبى: ج 15، ص 281.

وقال ابن كثير: «وانما نسبت إليه، فيقال سيرة ابن هشام، لانه هذبها، وزاد فيها، ونقص منها، ومرر أماكن، واستدرک أشياء»(1).

والسؤال المطروح هو: أفبعد هذا التدخل الواضح فی سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعرضها لهذه الهجمة من الحذف والطمس وتضييع الحقائق، كيف سيطمئن المسلم إلى أن كثيراً مما «يسوء بعض الناس ذكره» كان فيه بيان لحقيقة إيمان، أو نفاق كثير من الشخصيات الإسلامية التی لعبت يد السلطة فی إبرازها فی المجتمع؟!.

أو لعل «مما يسوء بعض الناس ذكره» هو امجاد بنی هاشم، وشيخهم أبی طالب عليه السلام، مما دفع ابن هشام إلى تركه وحذفه من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

وعليه: كيف ينقاد دعاة السلطة وأرباب المصالح إلى حقيقة إسلام أبی طالب رضوان الله تعالى عليه وذكره سيسوء شانئی على بن أبی طالب عليه السلام؟.

1- البداية والنهاية لابن كثير: ج 10، ص 308.

المبحث السادس: تصريح العترة النبوية عليهم السلام بإيمان أبى طالب

ص: 125

وعند العودة إلى نتيجة البحث فى إسـلام أبى طالب عليه السـلام فان الدين والعقل يلزماننا بالرجوع إلى عترة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لمعرفة حقيقة الأمور.

وقد ثبت إجماع أهل البيت عليهم السلام على إيمان أبى طالب(1) وإسلامه عليه السلام وقد جاءت فى ذلک نصوص صريحة بطرق كثيرة صحيحة متصلة بهم صلوات الله عليهم ونبدأ بقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وهو يرثى أباه بعد موته:

أبا طالب عصمة المستجير

***

وغيث المحول ونور الظلم

لقد هدّ فقدک أهل الحفاظ

***

فصلى عليک ولى النعم

ولقاک ربک رضوانه

***

فقد كنت للطهر مِنْ خير عم(2)

1- راجع فى ذلک أقوال علماء مـذهب أهل البيت عليهم السـلام: الطبرسـى فى مجمع البيان: ج 2، ص287؛ ابن معـد الفخار فى كتاب الحجة: ص 13؛ الفتال فى روضة الواعظين: ص 120؛ السيد ابن طاووس فى الطرائف: ص 84 , ص 87؛ العلامة المجلسى فى البحار: ج 9، ص 29. ومن غيرهم ابن أبى الحديد فى شـرح نهج البلاغة بقوله: اختلف الناس فى أبى طالب فقالت الإمامية وأكثر الزيدية: ما مات إلاّ مسلماً، وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلک، منهم الشيخ أبو القاسم البلخى، وأبو جعفر الاسكافى، وغيرهما، «شرح نهج البلاغة: ج 3، ص 311».

2- التذكرة لسـبط ابن الجوزى: ص 6؛ كتاب الحجـة لابن الفخار: ص 24؛ منتهى الآمال للشـيخ عباس القمى: ج1، ص110؛ البحار: ج35، ص114؛ مستدرک سفينة البحار للشاهرودى: ج 5، ص 459؛ الدر النظيم ابن أبى حاتم العاملى: ص 219.

أما ما ورد من الأحاديث فكثيرة جداً وقد اقتصرنا على اثنى عشر حديثاً بعدد أئمة العترة عليهم السلام خلفاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى أمته.

1 – عن الإمام السبط الحسين بن على عليه السلام عن والده أمير المؤمنين انه كان جالساً فى الرحبة والناس حوله فقام إليه رجل فقال له:

يا أمير المؤمنين انک بالمكان الذى أنزلک الله وأبوک معذب فى النار؟!. فقال له:

مه فضّ الله فاک!، والذى بعث محمداً بالحق نبياً لو شفع أبى فى كل مذنب على وجه الأرض شفّعه الله، أأبى معذّب فى النار وابنه قسيم الجنة والنار؟!.

والذى بعث محمداً بالحق انّ نور أبى طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلائق إلاّ خمسة أنوار: نور محمد ونور على ونور فاطمة ونور الحسن والحسين ونور ولده من الأئمة إلاّ أن نوره من نورنا، خلقه الله من قبل خلق آدم بألفى عام(1).

2 – عن مولى المؤمنين وأميرهم على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال:

«والله ما عبد أبى ولا جدى عبدالمطلب، ولا هاشم، ولا عبد مناف صنماً قطّ».

1– الأمالى للطوسى: ص 305؛ تفسير البرهان: ج 3، ص 794؛ الغدير للعلامة الأمينى: ج 7، ص 387، وقد جاء فيه قوله رحمه الله ببقية المصادر: المناقب المائة للشيخ أبى الحسن ابن شاذان. كنز الفوائد للكراكجى: ص 80؛ كشف الغمة للأربلى: ج 2، ص 42؛ أمالى ابن الشيخ: ص 192؛ المناقب لابن شهر آشوب: ج 3، ص 28.

قيل له: فما كانوا يعبدون؟.

قال:

كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به(1).

3 – عن الشعبى يرفعه عن أمير المؤمنين انه قال:

كان والله أبو طالب بن عبدالمطلب بن عبد مناف مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه مخافةً على بنى هاشم ان تنابذها قريش(2).

4 – روى عن أمير المؤمنين على عليه السلام انه قيل له: من كان آخر الأوصياء قبل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

أبى(3).

5 – سُئِل الإمام على بن الحسين زين العابدين عليهما السلام عن أبى طالب، أكان مؤمناً؟.

فقال:

نعم.

فقيل له: إن هاهنا قوماً يزعمون أنه كافرٌ؟!.

1- إكمال الدين للصدوق: ص 175؛ تفسير البرهان للسيد البحرانى: ج 3، ص 95؛ الغدير للعلامة الأمينى: ج 7، ص 387؛ بحار الأنوار: ج 15، ص 145؛ الدر النظيم لابن أبى حاتم العاملى: ص 221.

2- الغدير للأمينى: ج 7، ص 388، وجاء فيه: ذكر أيضاً فى كتاب الحجة: ص 24؛ وسائل الشيعة «آل البيت عليهم السلام» للحر العاملى، باب: جواز التقية: ج 16، ص 232.

3- بحار الأنوار: ج 35، ص 114؛ جامع أحاديث الشيعة للبروجردى: ج 14، ص 583؛ الغدير للعلامة الأمينى: ج 7، ص 389؛ إيمان أبى طالب لشيخ الأمينى: ص 82.

فقال علیه السلام:

وا عجباً کل العجب أیطعنون علی أبی طالب أو علی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وقد نهاه الله تعالی أن یقرّ مؤمنة مع کافر فی غیر آیة من القرآن ولا یشک أحد أن فاطمة بنت أسد رضی الله عنها من المؤمنات السابقات، فانها لم تزل تحت أبی طالب حتی مات أبو طالب علیه السلام(1).

6 - عن أبی بصیر قال: قلت لأبی جعفر - الباقر - علیه السلام: سیدی ان الناس یقولون: إن أبا طالب فی ضحضاح من نار یغلی منها دماغه؟!. فقال علیه السلام:

کذبوا والله إنّ إیمان أبی طالب لو وضع فی کفة المیزان وإیمان هذا الخلق فی کفة میزان لرجح إیمان أبی طالب علی إیمانهم(2).

7 - عن عبد الرحمن بن کثیر انه قال: قلت لأبی عبدالله علیه السلام: إن الناس یزعمون أنّ أبا طالب فی ضحضاح من نار؟!.

فقال:

کذبوا، ما بهذا نزل جبرائیل علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم.

قلت: وبِمَ نزل؟!.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید:ج 14، ص 69؛ البحار: ج 35، ص 115.
2- شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج 3، ص 211؛ الغدیر للأمینی: ج 7، ص389 - 390.

قال:

أتى جبرائيل فى بعض ما كان عليه فقال: يا محمد إن ربک يُقرئک السلام ويقول لک إن أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرک فآتاهم الله أجرهم مرتين.وان أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرک فآتاه الله أجره مرتين، وما خرج من الدنيا حتى أتـته البشارة من الله تعالى بالجنة.

ثم قال:

كيف يصفونه بهذا وقد نزل جبرائيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمد أخرج من مكة فما لک بها ناصر بعد أبى طالب(1).

8 - عن يونس بن نباتة عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

يا يونس، ما يقول الناس فى أبى طالب؟.

قلت: فداک يقولون:

هو فى ضحضاح من نار يغلى منها أم رأسه.

فقال - عليه السلام -:

كذب أعداء الله، إنّ أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئک رفيقاً(2).

1- البحار: ج 35، ص 112؛ الجواهر السنية للحر العاملى: ص 219؛ شرح نهج البلاغة للمعتزلى: ج 14، ص 70 ؛ الوسائل للحر العاملى: ج 16، ص 231؛ الخرائج والجرائح للراوندى: ج 3، ص 1078.
2- البحار: ج 35، ص 111؛ الغدير للأمينى رحمه الله: ج 7، ص 393؛ كنز الفوائد للكراكجى: ص 80؛ كتاب الحجة: ص 17؛ مستدرک سفينة البحار: ج 6، ص 447؛ مستدركات علم الرجال لعلى النمازى: ص 315.

9 – عن درست بن أبی منصور انه سأل الإمام الکاظم علیه السلام: أکان رسول الله محجوباً بأبی طالب؟.

فقال:

لا ولکنه کان مستودعاً للوصایا فدفعها إلیه.

قلت: فما کان حال أبی طالب؟.

قال:

اقرّ بالنبی صلی الله علیه وآله وسلم وبما جاء به ودفع إلیه الوصایا ومات من یومه(1).

قال العلامة الأمینی قدس سره:

هذه مرتبة فوق مرتبة الإیمان فإنها مشفوعة بما سبق عن مولانا أمیر المؤمنین علیه السلام تثبت لأبی طالب مرتبة الوصایة والحجّیة فی وقته فضلاً عن بسیط الإیمان وقد بلغ ذلک من الثبوت إلی حد ظن السائل ان النبی صلی الله علیه وآله وسلم کان محجوباً قبل بعثه، فنفی الإمام ذلک واثبت ما ثبت له من الوصایة وانه کان خاضعاً بالإبراهیمیة الحنیفیة، ثم رضخ للمحمدیة البیضاء فسلم الوصایا للصادع بها، وقد سبق إیمانه بالولایة العلویة الناهض بها ولده البارّ(2) صلوات الله وسلامه علیه.

1- الکافی للکلینی باب بلد النبی صلی الله علیه وآله وسلم ووفاته: ج 1، ص 445؛ العدد القویة لعلی بن یوسف الحلی: ص 69؛ البحار: ج17، ص 140؛ الکنی والألقاب للشیخ عباس القمی: ج 1، ص 109؛ مجمع البحرین للطریحی: ج 1، ص 461.
2- الغدیر للأمینی:ج 7، ص 394؛ إیمان أبی طالب للشیخ الأمینی:ص 89.

10 – روی عن الإمام الرضا علیه السلام قوله عن آبائه علیهم السلام بعدة طرق: ان نقش خاتم أبی طالب علیه السلام کان:

«رضیت بالله رباً وبابن أخی محمد نبیاً، وبابنی علی له وصیاً»(1).

11 – روی الشیخ الحر العاملی قدس سره بالإسناد عن الإمام الحسن العسکری علیه السلام عن آبائه علیهم السلام:

«ان الله تبارک وتعالی أوحی إلی رسوله صلی الله علیه وآله وسلم إنی قد أیدتک بشیعتین: شیعة تنصرک سراً وشیعة تنصرک علانیة، فأما التی تنصرک سراً فسیدهم وأفضلهم عمک أبو طالب، وأما التی تنصرک علانیة فسیدهم وأفضلهم ابنه علی بن أبی طالب علیه السلام.

ثم قال:

وان أبا طالب کمؤمن آل فرعون یکتم إیمان(2).

فهذه أثنا عشر حدیثاً مروریاً عن العترة النبویة علیهم السلام وهی تنص علی إیمان أبی طالب علیه السلام وهی نصوص لا تقبل الشک فی ثبوت إیمان شیخ الأبطح وحامی النبوة وکفیل صاحب الرسالة صلی الله علیه وآله وسلم.

1- الغدیر: ج 7، ص 395، نقلاً عن کتاب: تضمیر أبو الفتوح الرازی: ج 4، ص 211؛ الدرجات الرفیعة للمدنی: ص 60؛ إیمان أبی طالب للشیخ الأمینی: ص 89.

2- الجواهر السنیة للحر العاملی: ص 219؛ الحجة علی الذاهب للسید فخار بن معد: ص 362؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسی: ج 35، ص136؛ الغدیر للشیخ الأمینی: ج 7، ص 395؛ الخصائص الفاطمیة للکجوری رحمه الله: ج 2، ص 78.

ناهیک عن ما روی من أحادیث تکشف عن عظم منزلة أبی طالب عند رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وبخاصة تلک الأحادیث التی تخبر عن الحالة التی أصبح علیها النبی صلی الله علیه وآله وسلم بأبی وأمی بعد وفاة عمه وکفیله أبی طالب علیه السلام.

12 - أخرج الشیخ أبو جعفر الصدوق بإسناد له: ان عبد العظیم بن عبدالله العلوی الحسنی(1) المدفون بالری کان مریضاً فکتب إلی أبی الحسن الرضا علیه

1- ترجم له السید أبو القاسم الخوئی بقوله: عبد العظیم بن عبدالله بن علی بن الحسین بن زید بن الحسن بن علی بن أبی طالب أبو القاسم له کتاب خطب أمیر المؤمنین علیه السلام. قال أبو عبدالله الحسین بن عبدالله: حدثنا جعفر بن محمد أبو القاسم، قال: حدثنا علی بن الحسین السعد آبادی، قال: حدثنا احمد بن محمد بن خالد البرقی، قال: کان عبد العظیم ورد الری هارباً من السلطان، سکن سرابا فی دار رجل من الشیعة فی سکة الموالی، فکان یعبد الله فی ذلک السرب، ویصوم نهاره، ویقوم لیله فکان یخرج مستتراً فیزور القبور المقابل قبره، وبینهما الطریق، ویقول: هو قبر رجل من ولد موسی بن جعفر علیه السلام. فلم یزل یأوی إلی ذلک السرب ویقع خبره إلی الواحد بعد الواحد من شیعة آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم حتی عرفه أکثرهم فرآی رجل من الشیعة فی المنام رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، قال له: إن رجلاً من ولدی یحمل من سکة الموالی ویدفن عند شجرة التفاح فی باغ (بستان) عبد الجبار بن عبد الوهاب، وأشار إلی المکان الذی دفن فذهب الرجل لیشتری الشجرة ومکانها من صاحبها، فقال له: لأی شیء تطلب الشجرة ومکانها؟ فأخبره الرؤیا، فذکر صاحب الشجرة أنه کان رأی مثل هذه الرؤیا، وأنه قد جعل موضع الشجرة مع جمیع الباغ (البستان) وقفاً علی الشریف والشیعة یدفنون فیه، فمرض عبد العظیم ومات رحمة الله علیه. فلما جرد لیغسل وجد فی جیبه رقعة فیها ذکر نسبه، فإذا فیها: أنا أبو القاسم عبد العظیم بن عبدالله بن علی بن الحسین بن زید (ابن علی) بن الحسن بن علی بن أبی طالب علیه السلام. «معجم رجال السید الخوئی: ج 11، ص 50». وقد عده الشیخ الطوسی رحمه الله: من أصحاب الإمامین علی بن محمد الهادی والحسن بن علی العسکری علیهما السلام. «رجال الطوسی: برقم 5706 / 1 و5875 / 20». وقال السید التفریشی: روی عنه سهل بن زیاد الآدمی، وأبو تراب عبید الله الحارثی. وقال الصدوق: فی من لا یحضره الفقیه فی الجزء الثانی، باب صوم یوم الشک، فی ذیل الحدیث 355، وهذا حدیث غریب لا أعرفه إلا من طریق عبد العظیم بن عبدالله الحسنی المدفون بالری فی مقابر الشجرة وکان مرضیا - رضی الله عنه -. روی (عبد العظیم الحسنی) عن الحسن بن الحسین العمری، وروی عنه محمد بن خالد البرقی. کما فی کامل الزیارات: الباب 25، فی ما جاء فی قاتل الحسین وقاتل یحیی بن زکریا علیهما السلام، الحدیث 10. وروی عن عمر بن رشید، وروی عنه عبید الله بن موسی، تفسیر القمی: سورة الجاثیة، فی تفسیر قوله تعالی: (قُلْ لِلَّذِینَ آمَنُوا یَغْفِرُوا لِلَّذِینَ لَا یَرْجُونَ أَیَّامَ اللَّهِ) قال السید أبو القاسم الخوئی قدس سره: «ثم أن الصدوق روی عن علی بن أحمد، قال: حدثنا حمزة بن القاسم العلوی - رحمه الله - قال: حدثنا محمد بن یحیی العطار، عمن دخل علی أبی الحسن علی بن محمد الهادی علیه السلام، من أهل الری، قال: دخلت علی أبی الحسن العسکری علیه السلام، فقال: أین کنت؟ قلت: زرت الحسین علیه السلام، قال: أما إنک لو زرت قبر عبد العظیم عندکم لکنت کمن زار الحسین علیه السلام. «ثواب الأعمال: فی ثواب زیارة عبد العظیم الحسنی بالری». ورواه جعفر بن قولویة، عن بعض أهل الری. «کامل الزیارات: الباب 107، فی فضل زیارة قبر عبد العظیم الحسنی، الحدیث 1». قال السید الخوئی قدس سره: هذه الروایة تنفی ما تقدم عن الشیخ فی رجاله، من عد عبد العظیم من أصحاب أبی محمد علیه السلام لکن الروایة ضعیفة لجهالة الراوی عن الإمام علیه السلام، وقد تقدم عدم ثبوت ذلک عن الشیخ. ثم ان المحدث النوری - قدس سره - ذکر فی شرح المشیخة، فی الفائدة الخامسة من الخاتمة، فی ترجمة عبد العظیم من طریق الصدوق، من مستدرکه رسالة عن الصاحب بن عباد فی ترجمة عبد العظیم، وفیها: روی أبو تراب الرویانی، قال: سمعت أبا حماد الرازی یقول: دخلت علی علی بن محمد علیهما السلام، بسر من

رأى فسألته عن أشـياء من الحلال والحرام فأجابنى فيها فلما ودعته قال لى: يا حماد إذا أشـكل عليک شىء من أمر دينک بناصيتک فسل عنه عبد العظيم بن عبدالله الحسـنى وأقرئه السلام (انتهى). قال السيد الخوئى قدس سره: هذه الرواية أيضاً ضعيفة ولا أقل من جهة الإرسال. ثم انه حكى عن الشـهيد الثانى – قدس سـره – أنه قال فى تعليقه على الخلاصة: هذا هو عبد العظيم المدفون فى مسجد الشجرة فى الرى وقبره يزار، وقد نص على زيارته الإمام على بن موسـى الرضا عليه السـلام،قال: من زار قبره وجبت له الجنة، روى ذلک بعض النسابين. قال قدس سره: المتحصل من كلمات أصـحابنا أن عبد العظيم لم يدرک الرضا عليه السـلام فضـلاً عن أن يكون متوفى فى حياته، فما ذكره النسابون، وهم جزما. فهـذه المرسـلات غير قابلـة للتصـديق، نعم فى كتاب الاختصاص، فى موعظة نافعة رواها عن عبد العظيم، قال وروى عن عبد العظيم، عن أبى الحسن الرضا عليه السـلام، قال: يا عبـد العظيم، ابلغ عنى أوليائى السـلام.. الحديث. فإن مقتضـى هذه الرواية أدرک عبد العظيم الرضا عليه السـلام، إلا أنه لا اعتماد عليها ولا أقل من جهـة الإرسال، والـذى يهون الخطب جلالة مقام عبد العظيم وإيمانه وورعه غنية عن التثبت فى إثباتها بأمثال هذه الروايات الضعاف. «معجم رجال الحديث – السيد الخوئى – ج 11، ص 51 – 54».

السلام: عرفنی یا بن رسول الله عن الخبر المروی: ان أبا طالب فی ضحضاح من نار یغلی منها دماغه؟!.

ص: 136

فکتب إلیه الرضا علیه السلام:

بسم الله الرحمن الرحیم، أما بعد: فانک ان شککت فی إیمان أبی طالب کان مصیرک إلی النار(1).

ص: 137

1- إیمان أبی طالب للشیخ المفید رحمه الله: ص 4؛ کنز الفوائد للکراکجی: ص 80؛ بحار الأنوار: ج 35، ص 110؛ الغدیر للأمینی رحمه الله: ج 7، ص 381؛ مستدرک سفینة البحار لعلی النمازی: ج 6، ص 447؛ شرح نهج البلاغة للمعتزلی: ج 14، ص 68؛ الدرجات الرفیعة لطبقات الشیعة للسید المدنی: ص 50؛ الدر النظیم لابن أبی حاتم العاملی: ص 220؛ شرح إحقاق الحق للسید المرعشی قدس سره: ج 29، ص 609.

المبحث السابع: ما زال أبو طالب عليه السلام يدافع عن إيمانه حتى النفس الأخير

اشارة

ص: 139

من القرائن التى تكشف عن حقيقة إيمان الإنسان بالله ورسوله صـلى الله عليه وآله وسلم هى اللحظات الأخيرة من عمر الإنسان وهو يودع فيها هذه الحياة الدنيا لينتقل إلى الآخرة.

وغالباً ما يستغل الإنسان هذه اللحظات كى يوصى فيها أهله وعياله بما يهمه من أمر دينه ودنياه من جهة وما يهمه من أمر دين عياله ودنياهم فيختزل لهم فى هذه اللحظات تجربة حقبة من الزمن مرت عليه فعاشها واستخلص منها العبر، انها لحظات لصورة حياة متكاملة.

لكن كيف كـانت تلـك اللحظات الأخيرة التى قضاها أبو طالب عليه السـلام وهو يودع هـذه الحياة بعـد أن أبلى بلاءً حسـناً فى نصـرة دين الإسـلام؟ وكيف كـان أثرهـا على رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم؟ لاـ شـك أنها لحظات ملؤها الألم والحزن والوحشـة ضاق معها الفسـيح فى عين النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم وهو ينظر إلى ذلك الوجه الـذى امتزج فيه النور مع الشـيب فكان كالبلور الوهاج، بنظرة ملؤها الرقـة والرحمـة، فها هو الحصن المنيع راحل عنه إلى جوار ربّه، ثم يأتى هـدير صوت أبى طالب عليه السـلام كشـلال تتصـدع تحته الصخور وهو يخاطب الجالسين من حوله وقد

جاؤوا ملبين طلبه فی حضورهم يستمعون إلی كلماته الأخيرة قائلاً:

«يا معشـر قريش: أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدام الشجاع، الواسع الباع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فی المآثر نصـيباً إلاّ أحرزتموه، ولا شـرفاً إلا أدركتموه، فلكم بذلک علی الناس الفضـيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب وعلی حربكم إلب؛ وإنی أوصـيكم بتعظيم هـذه البنية - أی الكعبة - فان فيها مرضاة للرب، وقواماً للمعاش، وثباتاً للوطأة، صـلوا أرحامكم ولا تقطعوها، فإن صـلة الرحم مسـناة فی الأجل، وزيادة فی العدد، واتركوا البغی والعقوق ففيها هلكة القرون قبلكم، أجيبوا الداعی، وأعطوا السائل فان فيها شرف الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة فان فيها محبة فی الخاص ومكرمة فی العام.

وأنی أوصـيكم بمحمـد خيراً فـإنه الأمين فی قريش، والصـديق فی العرب، وهو الجامع لكل ما أوصـيكم به(1) وقـد جاءنا بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافـة الشـنآن، وايم الله كأنی أنظر إلی صـعاليک العرب وأهل الأطراف والمستضـعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعـدهم منه أحظاهم عنـده، قد محضـته العرب ودادها، واصـفة له فؤادها وأعطته قيادها، دونكم يا معشـر قريش! ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة.

1- أی الفضائل التی ذكرها ومكارم الأخلاق التی عدّها.

والله لا يسلک سبيله أحد إلا رشد، ولا يأخذ احد بهديه إلا سعد.

ولو كان لنفسى مدّة، وفى أجلى تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهى(1). ثم قال لبنى هاشم خاصة وأحلافهم من قريش:

«إن محمـداً نبى صادق، وأمين ناطق، وان شأنه أعظم شأن، ومكانه من ربه أعلى مكان، فأجيبوا دعوته، واجتمعوا على نصـرته، وراموا عـدوه من وراء موضته، فانه الشرف الباقى لكم طول الدهر ثم انشأ يقول:

أوصى بنصر النبى الخير مشهده

***

علياً ابنى وعمّ الخير عباساً

وحمزة الأسد المعشى صولته

***

وجعفراً ان يذودا دونه الناساً

وهاشماً كلها أوصى بنصرته

***

أن يأخذوا دون حرب القوم امراساً

كونوا فداءً لكم أمى وما ولدت

***

من دون أحمد عند الروع اتراسا

بكل أبيض مصقول عوارضه

***

تخاله فى سواد الليل مقباساً(2)

وهذه الأبيات توحى بما خالج قلب أبى طالب عليه السـلام من الخوف والقلق على سلامة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا توجه بكلامه إلى بنيه على وجعفر، وأخوته حمزة والعباس لكى يقوموا بمهمة الدفاع عن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم ولكى تكون هذه اللحظات الأخيرة من حياة أبى طالب صفحة

1- تاریـخ الخمیس: ج 1، ص 339؛ السـیریة الحلبیة: ج 2، ص 49؛ المواهب اللدنیـة: ج 1، ص 72؛ الغدیر: ج 7، ص 366؛ بهجة المحافل للعامری الحمصی «مخطوط» یرقد فی مکتبة الأسد بدمشق برقم «1347».

2- الغدیر للعلامة الأمینی: ج 7، ص 400، نقلاً عن ضیاء العالمین للفتونی.

يسـجل فيها أسـمى درجات الإيمان بالله ورسوله صـلى الله عليه وآله وسـلم فلم يتركها تمر دون ان تشهد بعضاً من الكلمات المعبرة عن الإيمان الصادق، واليقين الراسخ بما جاء به النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكى يعلم الحاضـرون ومن يأتى بعدهم من الأجيال ان أبا طالب كان يدافع عن إيمانه بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويجاهد فى سبيلهما حتى النفس الأخير.

وهو فى الوقت نفسه لم يجعل تلك اللحظات الأخيرة تـذهب من يـديه دون أن يؤكـد على ولديه وأخوته أن يقوموا بحماية النبى صـلى الله عليه وآله وسلم والدفاع عنه.

وفاته وتشيعه عليه السلام

وهكـذا تبـدأ اللحظات الأخيرة تسـير بعجل لتطوى هـذه الصـفحات من الجهد والجهاد والتضـحية والإيثار لتنتقل هذه الروح الطاهرة إلى بارئها وهى تحمل (خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)

لكنَّ أبا طالب لم يكن وحيداً بل كان يحفُّ به أولاده وقد ملأ قلبهم الحزن والألم ثم بعد لحظات قليلة تفيض هذه الروح المطمئنة فتتحادر معها دموع الأحبة. فتوجع لموته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توجعاً عظيماً وحزن حزناً شديداً.

ثم قال لأمير المؤمنين عليه السلام:

امضِ يا على فتول أمره وتول غسله وتحنيطه وتكفينه فإذا رفعته على سريره فأعلمنى.

ففعل ذلک أمير المؤمنين عليه السلام – فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات فلما رفعه أمير المؤمنين عليه السلام على السرير اعترضه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فرق وتحزن وقال:

وصلتک رحمْ، وجزيت خيراً يا عم، فقد كفلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً(1).

ثم أقبل على الناس وقال: أما والله لا شفعنّ لعمى شفاعة يعجب بها أهل الثقلين(2).

ولم يصل عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأن الصلاة لم تكن نزلت بعد ولهذا لم يصل على خديجة عليها السلام أيضاً.

رثاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم له ووجده عليه

لم يكن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فى يوم من الأيام لينسى عمه الذى كان يحن إليه، ويذكر جهاده ودفاعه عنه، وهو يذود أعداء الله ليلاً ونهاراً.

1- راجع فى اعتراض النبى صلى الله عليه وآله وسلم جنازة أبى طالب وسيره معها وترحمه عليه؛ الطرائف لابن طاووس: ص 305؛ المصنّف لعبد الرزاق: ج 6، ص 38؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 59، ص 250؛ تاريخ الإسلام للذهبى: ج 1، ص 235؛ كنز العمال: ج12، ص153؛ تاريخ الخطيب البغدادى: ج 13، ص 196؛ تاريخ اليعقوبى: ج1، ص354- 355؛ الإصابة لابن حجر، ترجمة ابن عباس: ج 7، ص 198؛ البحار: ج 19، ص 20؛ منتهى الآمال لعباس القمى: ص77.

2- إيمان أبى طالب للشيخ المفيد قدس سره: ص 26؛ اعلام الورى للطبرسى: ج 1، ص282؛ البحار: ج 22، ص 261؛ إيمان أبى طالب للأمينى: ص 77؛ الغدير: ج 7، ص 386؛ الفصول المختارة للشريف المرتضى: ص80.

ولقد رثاه قولاً وعملاً؛ فأما العمل: فقد لزم داره وأقل الخروج(1). وأما القول: فقد سمى هذا العام بعام الحزن(2).

وقال:

«اجتمعت على هذه الأمة فى هذه الأيام مصيبتان لا أدرى بأيهما أنا أشد جزعا»،

يعنى مصيبة فقد خديجة وأبى طالب(3).

ومع قلة خروجه إلاّ انّ قريش بالغت فى أذاه فقال:

«ما نالت قريش منى شيئاً اكره حتى مات أبو طالب»(4).

وقال:

«لأسرع ما وجدنا فقدک يا عم»(5).

فانا لله وإنا إليه راجعون.

وقد رثاه سيد البلغاء والمتكلمين ولده على أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الأبيات:

1- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 1، ص 211؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج 3، ص 165؛ السيرة النبوية لابن كثير: ج 2، ص 147؛ سبيل الهدى والرشاد للصالحى الشامى: ج 2، ص435؛ السيرة الحلية: ج 2، ص 41.

2- السيرة الحلبية: ج 2، ص 41؛ كشف الغمة للأربلى: ج 2، ص 29؛ الدر النظيم لابن أبى حاتم العاملى: ص 111.

3- تاريخ اليعقوبى: ج 2، ص 36.

4- امتاع الأسماع للمقريزى: ج 1، ص 45.

5- الأمالى للشيخ الطوسى رحمه الله: ص 464؛ حليلة الأبرار للسيد هاشم البحرانى: ج 1، ص 140؛ البحار: ج 19، ص 58.

أبا طالب عصمة المستجير

***

وغيث المحول ونور الظّلم

لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ

***

فصلى عليك وليّ النعم

ولقاك ربك رضوانه

***

فقد كنت للطهر من خير عم(1)

وقال أيضاً:

أرقت لنوح آخر الليل غرّدا

***

يذكّرني شجواً عظيماً مجدّداً

أبا طالب مأوى الصعاليک ذا الندى

***

وذا الحلم لا خلفاً ولم يک قعددا

أخا الملک خلّى ثلمة سيسدّها

***

بنو هاشم أو يستباح فيهمدا

فامست قريش يفرحون بفقده

***

ولست أرى حيا لشيء مخلدا

أرادت أموراً زينتها حلومها

***

ستوردهم يوما من الغيّ مورداً

ويرجون تكذيب النبى وقتله

***

وان يفتروا بهتاً عليه ويجحداً

كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم

***

صدور العوالى والصفيح المهندا

ويبدأ منّا منظر ذو كريهة

***

إذا ما تسربلنا الحديد المسرّدا

فإما تبيدونا وإمّا نبيدكم

***

واما تروا سلم العشيرة أرشدا

وإلاّ فإنّ الحى دون محمد

***

بنو هاشم خير البرية محتدا

وانّ له فيكم من الله ناصراً

***

ولست بلاق صاحب الله أوحدا

نبی أتی من کل وحی بحظة

***

فسماه ربی فی الکتاب محمدا

أغر کضوء البدر صورة وجهه

***

جلا الغیم عنه ضوؤه فتوقدا

امین علی ما استودع الله قلبه

***

وان کان قولاً کان فیه مسدّدا(2)

ص: 147

1- التذکرة لابن الجوزی: ص 6؛ کحل البصر للشیخ عباس القمی: ص 76؛ الغدیر للأمینی: ج7، ص 378؛ بحار الأنوار: ج 35، ص 114؛ الدر النظیم لابن أبی حاتم العاملی: ص 218.

2- حلیة الأبرار للشیخ عباس القمی: ج 1، ص 85 - 86؛ الغدیر: ج 7، ص 379؛ تاریخ مدینة دمشق لابن عساکر: ج 66، ص 344؛ شرح إحقاق الحق للسید المرعشی قدس سره: ج 33، ص 229.

وقال أيضاً عليه السلام يرثى خديجة أم المؤمنين وأباه أبا طالب عليهما السلام:

أعينى جواداً بارک الله فيكما

***

على هالكين ما ترى لهم مثلا

على سيد البطحاء وابن رئيسها

***

وسيدة النسوان أول من صلى

مهذبة قد طيب الله خيمها

***

مباركة والله ساق لها الفضلا

مصابهما أدجى إلى الجو والهواء

***

فبت أقاسى منهما الهم والثكلا

لقد نصرا فى الله دين محمد

***

على من هى فى الدين قد رعيا إلاّ(1)

ما خلف من الأبناء

أولاده الذكور

ألف - طالب بن أبى طالب

خلف أبو طالب من الأولاد الـذكور أربعة، وهم طالب وكان أكبرهم وبه كان يكنى وقد غلبت الكنية على اسم أبى طالب، فعرف بين الناس بها، حتى ظن البعض ان هذا اسمه، فى حين كان اسمه «عبد مناف»(2).

وكان المشركون قد أخرجوا طالباً وسائر بنى هاشم إلى بدر كرهاً وفى ذلک يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من قدرتم ان تأسروه من بنى هاشم فلا تقتلوه، فإنهم خرجوا كرها»(3).

ص: 148

1- منتهى الآمال للشيخ القمى: ص 77؛ بحار الأنوار: ج 35، ص 143؛ مستدرک سفينة البحار: ج 4، ص 73؛ الخصائص الفاطمية للكجورى: ج 2، ص 81.

2- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد: ج 1، ص 121؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج 41، ص8.

3- شرح الأخبار، القاضى النعمان المغربى: ج 3، ص 235.

وكـان بين طـالب بن أبى طـالب وبعض قريش محاورة فقالوا: «والله لقـد علمنا يا بنى هاشم وان خرجتم معنا ان هواكم لمع محمـد»(1)، فخرج طالب وهو يقول:

يا رب أما يغزون بطالب

***

فى مقنب من هذه المقانب

فليكن المغلوب غير الغالب

***

وليكن المسلوب غير السالب(2)

فلما انهزموا لم يوجد فى الأسرى ولا فى القتلى ولا رجع إلى مكة ولا يدرى ما حاله وليس له عقب»(3).

وقد روى الكلينى رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام، انه قال:

«لما خرجت قريش إلى بـدر وأخرجوا بنى عبـدالمطلب معهم، خرج طالب بن أبى طالب فنزل رجازهم وهم يرتجزون ونزل طالب بن أبى طالب يرتجز ويقول:

يا رب أما يغزون بطالب

***

فى مقنب من هذه المقانب

وذكر الأبيات(4).

وفى رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام:

«أنه كان أسلم»(5).

1- عيون الأثر، ابن سيد الناس: ج 1، ص 322.

2- الطبقـات الكبرى لابن سـعد: ج 1، ص 121؛ الدر المنثور للسـيوطى: ج 3، ص 165؛ تاريـخ دمشق لابـن عساكر: ج 41، ص 8؛ المجـدى فى أنساب الطالبيين، على بن محمد العلوى: ص 318؛ تاريخ الطبرى: ج 2، ص 143؛ الوافى بالوفيات للصفدى: ج 16، ص

.222

3- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 1، ص 121.

4- الكافي للكليني: ج 8، ص 375.

5- المصدر السابق.

وذكر القاضى المغربى: ان له أبيات يمتدح فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قائلاً:

وقد حل مجد بنى هاشم

***

فكان النعائم والزهرة

ومحض بنى هاشم احمد

***

رسول المليک على فترة

عظيم المكارم نور البلاد

***

حرى الفؤاد صدى الزبرة

كريم المشاهد سمح البنان

***

إذا ضنّ ذو الجود والقدرة

عفيف تقى نقى الردا

***

طهر السراويل والأزرة

جواد رفيع على المعتقين

***

وزين الأقارب والأسرة

وأشوس كالليث لم ينهه

***

لدى الحرب زجرة ذى الزجرة

وكم من صريع له قد نوى

***

طويل التأوه والزفرة(1)

وكان بين مولد طالب وعلى أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة(2).

باء - عقيل بن أبى طالب

روى ابن عقدة، عن ابن عباس، قال: «كان طالب أكبرهم سناً، ويليه عقيل، ويلى عقيلاً جعفر، ويلى جعفراً على. وكل واحد منهم أكبر من صاحبه بعشر سنين، وعلى أصغرهم سناً».

وذكر ابن سعد: ان أمهم جميعاً هى فاطمة بنت أسد بن هشام، وكان لعقيل بن أبى طالب من الولد يزيد، وبه كان يكنى، وسعيد وأمهما أم سعيد بنت عمرو بن يزيد، وجعفر الأكبر، وأبو سعيد الأحول - وهو اسمه - وأمهما أم البنين

1- شرح الأخبار للقاضى المغربى: ج 3، ص 245.

2- الدر النظيم لابن أبى حاتم العاملى: ص 227.

بنت الثغر، واسمها أسماء بنت سفيان أخت الضحاک بن سفيان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومسلم بن عقيل وهو الذى بعثه - الإمام - الحسين بن على بن أبى طالب - عليهما السلام - من مكة يبايع له الناس فنزل بالكوفة على هانئ بن عروة فأخذهما عبيد الله بن زياد فقتلهما جميعاً وصلبهما.

وعبدالله بن عقيل، وعبد الرحمن، وعبدالله الأصغر، وأمهم خليلة أم ولد؛ وعلى لا بقية له وأمه أم ولد؛ وجعفر الأصغر، وحمزة وعثمان، لأمهات أولاد.

ومحمد ورملة وأمهما أم ولد؛ وأم هانئ، وأسماء، وفاطمة، وأم القاسم، وزينب، وأم النعمان لأمهات أولاد شتى.

وكان عقيل بن أبى طالب فيمن أخرج من بنى هاشم كرها مع المشركين إلى بدر فشهدها وأسر يومئذ وكان لا مال له ففداه العباس بن عبدالمطلب.

وكان النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد قال يوم بدر:

«انظروا من هاهنا من أهل بيتى من بنى هاشم».

قال: فجاء على بن أبى طالب - عليه السلام - فنظر إلى العباس ونوفل وعقيل ثم رجع فناداه عقيل: يا ابن أم على، أما والله لقد رأيتنا.

فجاء على إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

يا رسول الله رأيت العباس ونوفلاً وعقيلاً.

فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قام على رأس عقيل فقال:

«أبا يزيد قتل أبو جهل».

قال: إذا لا ينازعوا فی تهامة، إن کنت أثخنت القوم، وإلا فارکب أکتافهم.

وقیل: أن عقیل بن أبی طالب، قال للنبی صلی الله علیه وآله وسلم: من قتلت من أشرافهم؟.

قال صلی الله علیه وآله وسلم:

قتل أبو جهل.

قال: الآن صفا لک الوادی(1).

ثم قال له عقیل: انه لم یبق من أهل بیتک أحد إلا وقد أسلم.

قال صلی الله علیه وآله وسلم:

فقل لهم فلیلحقوا بی.

فلما آتاهم عقیل بهذه المقالة خرجوا(2).

وذکروا: ان العباس، ونوفلا، وعقیلاً رجعوا إلی مکة، أمروا بذلک، لیقیموا ما کانوا یقیمون من أمر السقایة، والرفادة، والرئاسة؛ وذلک بعد موت أبی لهب، وکان السقایة، والرفادة، والرئاسة، فی الجاهلیة فی بنی هاشم، ثم هاجروا بعد إلی المدینة فقدموها بأولادهم وأهالیهم(3).

قال ابن سعد: ورجع عقیل إلی مکة فلم یزل بها حتی خرج إلی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم مهاجراً فی أول سنة ثمان فشهد غزوة مؤتة، ثم رجع فعرض

1- الطبقات الکبری، ابن سعد: ج 4، ص 42 و43؛ إحقاق الحق، المرعشی: ج 33، ص232؛ تاریخ ابن عساکر: ج 41، ص 13.
2- الطبقات الکبری، ابن سعد: ج 4، ص 16.
3- الطبقات الکبری، ابن سعد: ج 4، ص 16؛ تاریخ دمشق لابن عساکر: ج 41، ص 13.

له مرض فلم يسمع له بذكر فى فتح مكة ولا الطائف ولا خيبر ولا فى حنين، وقد أطعمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخيبر مائة وأربعين وسقا، كل سنة»(1).

ومات رضى الله تعالى عنه بعد ما عمى فى خلافة معاوية بن أبى سفيان، وله عقب اليوم وله دار بالبقيع كثيرة الأهل والجماعة واسعة(2).

ومما ورد فيه من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن على أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«انک لتحب عقيلا»؟.

قال:

«أى والله إنى لأحبه حبين، حباً له، وحباً لحب أبى طالب له، وان ولده لمقتول فى محبة ولدک فتدمع عليه دموع المؤمنين، وتصلى عليه الملائكة المقربون، ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى جرت دموعه على صدره.

ثم قال: «إلى الله أشكو ما تلقى عترتى بعدى»(3).

جيم - جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما

اشارة

ترجم له ابن سعد قائلاً: «كان لجعفر من الولد عبدالله وبه كان يكنى وله العقب من ولد جعفر، ومحمد وعون لا عقب لهما ولدوا جميعاً لجعفر بأرض الحبشة فى المهاجر إليها وأمهم أسماء بنت عميس.

1- الطبقات لابن سعد: ج 4، ص 43.

2- الطبقات: ج 4، ص 44؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج 41، ص 9.

3- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 191؛ بحار الأنوار: ج 22، ص 288.

وأسلم جعفر بن أبی طالب قبل أن یدخل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم دار الأرقم ویدعو فیها»(1).

وهذا یشیر إلی أنه أسلم بعد أخیه علی وأبیه وخدیجة فیکون بذلک رابع من أسلم. ومما یدل علیه:

1 - ما رواه الصدوق رحمه الله عن الإمام الصادق علیه السلام قال:

«أول جماعة کانت أن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کان یصلی وأمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام معه إذ مرّ أبو طالب به وجعفر معه فقال:

یا بنی صل جناح ابن عمک.

فلما أحسه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم تقدمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو یقول:

ان علیاً وجعفراً ثقتی

***

عند ملم الزمان والکرب

والله لا أخذل النبی ولا

***

یخذله من بنی ذو حسب

لا تخذلا وانصرا ابن عمکما

***

أخی لأمی من بینهم وأبی

إلی أن قال فکانت أول جماعة جُمعت ذلک الیوم»(2).

2 - قال علی بن إبراهیم القمی رحمه الله فی تفسیر قوله تعالی:

(الَّذِینَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِینَ) (3).

1- الطبقات الکبری، ابن سعد: ج 4، ص 37.

2- الدر النظيم لابن أبى حاتم العاملى: ص 227.
3- سورة الحجر، الآية: 91.

قال: قسموا القرآن ولم يؤلفوه على ما أنزله الله، فقال:

(لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (1).

وقوله:

(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) (2).

فإنها نزلت بمكة بعد أن نُبِّئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثلاث سنين وذلک أن النبوة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء ثم أسلمت خديجة بنت خويلد زوجة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم دخل أبو طالب إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلى وعلى بجنبه وكان مع أبى طالب عليه السلام جعفر فقال له أبو طالب:

«صل جناح ابن عمک».

فوقف جعفر على يسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عليه السلام وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة يأتمون به فلما أتى لذلک ثلاث سنين أنزل الله عليه:

(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (3).

1- سورة الحجر، الآيتان: 92 و93.

2- سورة الحجر، الآيتان: 94 و95.

3- تفسير القمى، على بن إبراهيم القمى: ج 1، ص 377؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد المعتزلى: ج 13، ص 268، الفصول المختارة للشيخ المفيد: ص 282.

وروى محمد بن إسحاق، قال: محمد بن عمر: إن أميرهم فى الهجرة إلى أرض الحبشة جعفر بن أبى طالب.

ولما رجع رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم من خيبر تلقاه جعفر بن أبى طالب فالتزمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبل ما بين عينيه، وضمه إليه واعتنقه(1)، وقال:

«ما أدرى بأيهما أنا أفرح بقدوم جعفر أو بفتح خيبر»(2).

وفاته رضى الله عنه

وكانت شهادته رضى الله تعالى عنه فى مؤتة حينما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال:

«أن قتل زيد أو استشـهد فأميركم جعفر بن أبى طالب فإن قتل جعفر أو استشهد فأميركم عبدالله بن رواحه فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل»(3).

وكان عليه السلام أول من عرقب(4) فرسه فى الإسلام(5).

1- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد: ج 4، ص 35.

2- المصدر السابق.

3- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد: ج 4، ص 37.

4- هو سير مضفور فى طرفه إبزيم يشد به ثغر الدابة فى السراج. «تاج العروس للزبيدى: ج 2، ص 258 - 260».

5- الكافى للكينى: ج 5، ص 49.

أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه:

1 - حينما استشهد جعفر عليه السلام صلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له ثم قال:

«استغفروا لأخيكم جعفر فانه شهيد وقد دخل الجنة وهو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة»(1).

2 - وقال صلى الله عليه وآله وسلم له:

«أشبهت خَلقى وخُلقى»(2).

دال - الإمام على بن أبى طالب عليه السلام

وهو أصغر ولد أبى طالب عليهما السلام، وأمه فاطمة بنت أسد، ولما ولدته كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون سنة، فأحبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً، وقال لها:

«اجعلى مهده بقرب فراشى».

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يلى أكثر تربيته، وكان يطهر علياً فى وقت غسله، ويوجره اللبن عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه فى يقظته، ويجعله على صدره(3).

1- تاريخ الإسلام للذهبى: ج 2، ص 487؛ الوافى بالوفيات للصفدى: ج 11، ص 71؛ تاريخ دمشق ابن عساكر: ج 2، ص 14.

2- مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان الكوفى: ج 1، ص 497؛ البحار للمجلسى: ج 22، ص 276؛ صحيح البخارى، كتاب الصلح: ج 3، ص 168؛ سنن الترمذى: ج 5، ص 320؛ المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى: ج 3، ص 120.

3- حلية الأبرار للسيد هاشم البحرانى: ج 2، ص 29.

وعن الحسين بن زيد بن على بن الحسين عليهما السلام، قال: «سمعت زيداً يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمضغ اللحمة والتمرة حتى تلين، ويجعلهما فى فم على عليه السلام وهو صغير فى حجره»(1).

وعن زيد بن على قال:

«كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ علياً من أبيه وهو صغير فى سنة قحط أصابت قريشا، وأخذ حمزة جعفرا، وأخذ العباس طالبا؛ ليكفوا أباهم مؤونتهم، ويخففوا عنه ثقلهم، وأخذ هو عقيلا لميله كان إليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اخترت من اختار الله لى عليكم؛ علياً»(2).

بناته رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

ولأبى طالب من البنات ثلاثة، وهن: «أم هانى واسمها فاختة، وجمانة، وريطة» وأمهنّ جميعاً فاطمة بنت أسد، ويظهر من ذلك ان أبا طالب لم يتزوج عليها لكون جميع أبنائه ذكوراً وإناثاً منها رضوان الله تعالى عليها(3).

ولفاطمة بنت أسد منزلة خاصة عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تظهر من خلال ما أكرمها الله تعالى به من كرامة انشقاق جدار الكعبة ودخولها إلى جوف الكعبة حينما جاءها المخاض وهى حامل بعلى عليه السلام.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى: ج 13، ص 200؛ بحار الأنوار للمجلسى: ج38، ص 324.

2- مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصفهانى: ج 38، ص 324.

3- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 8، ص 48.

فقد روى الشيخ الصدوق فى الأمالى بسنده عن سعيد بن جبير، قال: قال يزيد بن قعنب: «كنت جالسا مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق.

فقالت: رب إنى مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنى مصدقة بكلام جدى إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذى بنى هذا البيت، وبحق المولود الذى فى بطنى لما يسرت على ولادتى.

قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلک أمر من أمر الله عز وجل ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام.

ثم قالت: إنى فضلت على من تقدمنى من النساء، لان آسية بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سرا فى موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطرارا، وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطبا جنيا، وإنى دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها، فلما أردت أن أخرج هتف بى هاتف:

يا فاطمة، سميه عليا، فهو على، والله العلى الأعلى يقول: إنى شققت اسمه من اسمى، وأدبته بأدبى، ووقفته على غامض علمى، وهو الذى يكسر الأصنام فى بيتى، وهو الذى يؤذن فوق ظهر بيتى، ويقدسنى ويمجدنى، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه»(1).

1- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 194 -_ 195.

تواتر أخبار ولادة الإمام على عليه السلام فى جوف الكعبة قال الحاكم النيسابورى: «وقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى جوف الكعبة»(1).

وقال أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى الشهير بشاه ولى الله والد عبد العزيز الدهلوى مصنف «التحفة الاثنى عشرية فى الرد على الشيعة» فقال فى كتابه «إزالة الخفاء»: «تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليا فى جوف الكعبة فإنه ولد فى يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة فى الكعبة ولم يولد فيها أحد سواه قبله ولا بعده»(2). وقال الآلوسى: «وكون الأمير كرم الله وجهه ولد فى البيت أمر مشهور فى الدنيا وذكر فى كتب الفريقين السنة والشيعة - إلى أن قال -: ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما اشتهر وضعه بل لم تتفق الكلمة عليه، وما أحرى بإمام الأئمة أن يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين؟ وسبحان من يضع الأشياء فى مواضعها وهو أحكم الحاكمين»(3).

أما منزلتها عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتظهر من خلال ما قام به النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من تعامل خاص معها حينما توفيت فقد كفنها بقميصه وحمل جنازتها على عاتقه، فلم يزل تحت جنازتها حتى أوردها قبرها وتمدد فى لحدها فقيل له فى ذلك، فقال:

«إن أبى هلك وأنا صغير فأخذتنى هى وزوجها فكانا يوسعان علىّ ويؤثرانى على أولادهما فأحببت أن يوسع الله عليها قبرها» (4).

1- المستدرک للحاکم النیسابوری: ج 3، ص 483.

2- نقلا عن کتاب الغدیر للشیخ الأمینی: ج 6، ص 22.

3- المصدر السابق.

4- الطبقات الکبری لمحمد بن سعد: ج 4، ص 37.

نتيجة البحث

بعد هذه الجولة بين مباحث الكتاب وما تمخض عنها من استدلالات عدة لترشد اللبيب إلى حقائق تتعلق بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشخصية أبى طالب عليه السلام ويمكن إجمالها بالآتى:

1 – ان حديث الضحضاح الذى رواه البخارى وغيره، هو حديث موضوع ومكذوب فيه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناهيک عن كونه يصرخ بانتهاک حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنزال الأذى به.

2 – ان هذه المباحث قد أوقفت القارئ على حقيقة وقت إسلام أبى طالب عليه السلام، وتحديداً هو بعد إسلام خديجة وولده على عليهم السلام فكان ثالث من أسلم.

3 – انه كتم إسلامه لحكمة بالغة أثبتت نجاحها الإنجازات التى حققها النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فى مكة، كما ان الحال الذى أصبح عليه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة عمه وما أصابه من أذى كبير لخير دليل على حكمة أبى طالب فى كتمانه إسلامه.

فلولا هذا التكتم الذى انتهجه أبو طالب عليه السلام لما قام هذا الدين ولقتل النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما قتل وصلب غيره من الأنبياء عليهم السلام.

4 – ان نظرية سرية الدعوة النبوية خلال السنين الثلاث الأول هى نظرية مختلقة أفرزتها الأحداث التى أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونسجتها بعض الأقلام التى أرادت التزلف لدى الحكام وأرباب السلطة لغرض

البقاء مدة أطول فى الحكم من خلال دفع الناس عن التوجه إلى آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

5 - أن السيرة النبوية الطاهرة قد تعرضت - ومازالت - لهجمات همجية ووحشية، بل هى أشد بشاعة من الهجمات التى تشن من أجل الإبادة العرقية على الأرض؛ فليس هناك أبشع من الجهل، والتضليل، وتحجير الفكر على الإنسان.

فلو علم أصحاب الفكر العرقى أو المذهبى وحشية، ما رسخ فى أذهانهم وبشاعته لما قدموا على تضليل الناس وتحجير أفكارهم وسفك دمائهم.

ولو علم المسلمون حقيقة ما تعرضت له سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته على أيدى أئمة الضلال، لماتوا أسفاً وكمداً، ولأيقنوا أنه لم يبق من القرآن إلا رسمه ومن الإسلام إلا اسمه»(1).

(وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) (2).

1- الكافى للكلينى: ج 8، ص 308.

2- سورة سبأ، الآيتان: 31 و32.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹